







لجنة نشر المؤلفات النيمورية

الحُبُّ والجَمالُ عند العرب

صفات الحب وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال
والفزل أو وصف النساء ومقاطع رائقة ونواحر فاتحة للشعراء العشاق
من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع

بقلم

المعلمة المحققة المنقورة له

المعلمة المنقورة له

عيسى البباني الحلبي وشركاه

حقوق الطبع محفوظة للجامعة

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

تمهيد لفكرة الكتاب^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حكم بعباده فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين من شاء من أحبائه
وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأوس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر
والأخبار ، ويغتنمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحمد على كل
نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كل ذنب يوجب العقوبة ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجيرني من الخطايا والزلل ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع
رائقة ، وقصائد فائقة ، من كل لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخطفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثراً
لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعجل الأجل
تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمّ .

اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .

اللهم أحيّ قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .

اللهم اجعلني أحبّ بك قلبي كلّهُ ، وأرضيك بجهدى كلّهُ .

اللهم اجعل حبي كلّهُ لك ، وسعي كلّهُ في مرضاتك .

بقلم الأديب الشاعر
الأستاذ عبد السلام شهاب
عضو اللجنة التيمورية والمحرم بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المنفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمّنه من آراء وأحاديث ونوادير وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهم كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالطيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بدّ واجد أنّها كلّها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثمّ هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوقٍ دقيقٍ واعٍ لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمالٍ وتلالٍ وجبالٍ مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيومٍ ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدقٍ وإخلاصٍ ، فهذان برهانات آخران على أنّهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتمبيراً عنه .

وقد نفّسني بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكنديّ :

أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التّدلّلِ وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجملِي
أغرّكٍ متى أنّ حبكٍ قاتلي وأنكٍ مهمّاً تأمرى القلبَ يفعلُ ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيته « أسماء » :
أَذَنْتَنَا بَيْنِنَا أَسْمَاءَ رَبِّ نَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ
أَمَّا طَرْفَةُ بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة »
محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يعصى عليها
هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٍ بِيرْقَةٍ نَهْمِدِ تُلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
ويقول عنزة بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُهُ مِنْنِي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنْبَاهِا لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيته وديارها التي أقفرت من
أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضَحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

ويقول ذو الأصبغ العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :
يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمَّ هَارُونِ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَاصِينِي
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ
ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن
ينتهي عن حب صاحبه مهما يطل عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَمْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوِي وَلَا تَنْوِي - زَعَمْتِ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَادِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أُنّي مُنتَهٍ . . . لقد انتهيتُ
وحتّى لو يُكونُ فتى أناسٍ بكى من عذلٍ عاذلِهِ ، بكيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنفذُ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري في بساطة محبّبةٍ ، فقال :
وأحبّها ، وتحبّني ويحبُّ ناقهاً بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ : النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَفُرَّةٌ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهجّوا نهجهم ، واتّبّعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرّجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدُها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّت
كبدته . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالي العربي زياد بن أبي سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتي من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والثنور ؟ قالوا : فن أنعمُ الناس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بانت سعادُ قلبي اليومَ متبولُ متيمِّمٌ إثرها لمْ يَفدْ مَكْبُولُ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا إلا أغنُّ غَضِيضُ الطرفِ مَكْحُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، و عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواضع الحب ، ويجيز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكُ الثَّلاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنُ مِنْ قَلْبِي بِكَلِّ مَكَانِ
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعَنَّ وَهَنْ فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحبَّ فعمَّ فمات ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضِي مِنْ مُبْتِنَّةِ الْبَدَى لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاضِي لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بِ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبالمنى وبالأمل المرجوِّ قد خابَ آمَلُهُ
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أُقْلِبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعْلَهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِّ : هَلْ رَأَيْتِ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنِ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلُبَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أُزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لِأَسْبِيلٍ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لِحْنِي قَدْ أُتِيحَ لِي . عَلَى أَنِّي أَمْتَنَعُ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتَّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةَ لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيس لُبَنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحبّ حينا ، ثمّ طلقها زولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد الساوان . ولكنه لم يستطع
صبرا على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلية ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنهم كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبَنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جمهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخطّ المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتامت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمز إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراه .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أوّلها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدّين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيامي واليتامي ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحبّ والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .
والسابع عن « العيون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعراء .
أما الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن للمرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإننا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
في هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجعله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والمتأدبين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرّياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصول المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإسراقها طبائع الحياة . فيصوّر من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متّصلٌ بخواطرها يسمّى الحبّ .

وسئل حمّادُ الرّاوية - عن الحبّ ما هو ؟ فقال : الحبّ شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النّية .

وقال معاذُ بن سهل : الحبُّ أصعب ما رُكِبَ ، وأسكّر ما شربَ . وأقطع ما لُقِيَ ، وأحلى ما اشتهى ، وأوجع ما بطنَ ، وأشهى ما علنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرّحتْ تَبَدَّتْ علاماتٌ لها غُرُورٌ صُفْرُ
فباطنه سُقمٌ وظاهره جَوَى وأوله ذِكْرٌ وآخره فِكْرُ

وقال بشار العقبلي :

هل تعلين وراء الحبّ منزلةً تُدني إليك فإن الحبّ أقصاني

وقال غيره :

أحبك حباً لو تُحبّين مثلهُ أصابك من وجدٍ على جنونُ
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهاره فدَمَعٌ ، وأمّا ليلُهُ فآنينُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف : الحبُّ أوله هزلٌ وآخره جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالها - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .
وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .
ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبَعَةٌ
يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل
ورجل قابله معلق بالمسجد إذا خرج منه لا يلت حتى يعود إليه ، ورجلان تحاببا في الله
اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحجوب^(١) :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحجوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : حُبُّ
علاقة ، وحُبُّ الخلالن ، وحُبُّ هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

(١) بدائع الفوائد ص ٨٥ :

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أبا مروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالمرء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وكان عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبَّبْتُ ولم يقولوا : حَابُّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرهُ مني بمنزلة المحبِّ المكرم .

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في المحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن بجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدُّمَيْنَةِ :

وإن السكيب الفرد من جانب الحمى إلى وإف لم آتو لَحْيِبُ

أى : لمحوب . ومن بجيئه للفاعل - قول المجنون :

أتهجرُ كَيْلِي بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نَحْدَنُ وخدينٌ مثل :
حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحِبُّ ليس بمصدر لأحبت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب وألسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أقتلها .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقياً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، أتخذ له في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزلو الجبال الراسياتُ وقلبهُ على المهْدِ لا يلوى ولا يتنيرُ

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :

فالحبُّ حيث العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسلِ

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :

« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكي عن بعض العرب أنهم يقولون : فلانة حبتني .

عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فأنتي لأعشق الشرف كما أعشق الجمال » .

وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حبت كل قصيرة إلى وما تدرى بذاك القصائر

ولم يرد : القصيرة القدا ، وإنما أراد القصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .

والقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :

محجوسات . وقوله تعالى : « فيهن قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبينن بهن بدلاً .

ويدل على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :

عنيتُ قصيراتِ الجمالِ ولم أردُ قصارَ الخطى ، شرَّ النساءِ البحائرُ

والبحائرُ : القصار .

أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى العُسنَ أينما وجدّه، وينجو فيه منحنى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال العُدريّ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيعَ، كما عمّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالنزّر إذ أنا يقظاً . ن وأعطى كثيره في المنامِ
والتقيتنا كما اشتهينا ولا عيّ ب سوي أن ذاك في الأحلامِ
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خير من الأيامِ
وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه
للحُسنِ والجمال :

بنتاً ضيبيّين في ثوبتي هوّى وتقيّ - يلفننا الشوقُ من فرقي إلى قدّمِ
وباتَ بارقُ ذاك النغمِ يوضحُ لي - مواقعَ الأثمِ في داجٍ من الظلمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

نقلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوّل منزل

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

افخرَ بآخر من كلفت بحبّه لا خيرَ في حبّ الحبيب الأول
أنشكُ في أن النبيّ مُحمداً ساد البرية وهو آخرُ مرسلٍ ؟

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أحنّ إلى خراب مقفرٍ درّست معالمة كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلنه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحبّ إلاّ للحبيب الأول
أو طيبٌ في الطعم ما قد ذقتُهُ من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل

قال العلويّ الأصهباني (١) :

دع حبّ أوّل من كلفت بحبّه ما الحبّ إلاّ للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إنّ المشيب وقد وفى بمقامه أوفى لدىّ من الشّباب النادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالفُ المفقودُ مثل الغابر

الحبّ مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحّان الأسدّي ، وكان نديماً لناسٍ من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر ، قصر مقاتلٍ وزورة ظلّ ناعم وصدق
معى كلّ فضفاض الثياب كأنّه إذا ما جرى فيه المدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

والشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
أرق من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءِ جِنْمًا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّحْرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ شُهْدٌ يَعْذُبُ
فأعجب لُشْهْدٍ مُسَكِرٍ مِنْ سِحْرِ
قابلتُهُ بِأَحْسَنِ الكَلَامِ مُرَحَّبًا مُعْظَمًا مَقَامِي
ووجههُ الوضَّاحُ فِي ابْتِسَامِ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
وبالجميل والحيا والبشرِ

الحبُّ في كلِّ حال :

قال عنترة العبسيُّ به يصف حبه لعلبة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكَ يَاظُلُومُ وَأَنْتَ مِنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الجَبَانِ
ولوَأَنْتِي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ
وقال بعضهم ، في الوداع :

وَدَعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُعْرَمُ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذْ رَاحُوا . . فَمَا سَكَمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبَّ قَلْبِي كُلَّ مَنْ يَظْلِمُ
وقال دعبيل الخزاعي :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخرٌ عنه ولا مُتقدِّمُ
أَجْدُ المَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَدَيْدَةٌ حَبًّا لَذَكَرِكَ فَلْيُكْمِنِي اللُّوْمُ
وأهنتني ، فأهنت نفسي صاغراً مَا مِنْ يَهونُ عَلَيْكَ يَمُنُّ بِكَرْمِ

حب النساء المال :

قال الزبير بن بكار في أنساب قريش^(١) : كان « نُبَيْهٌ وأخوه منبّه » من وجوه قريش ، وذوى النباهة فيهم ، ولكنهما قُتِلَا « بيدرٍ » كافرين ، وكانا من المطمئنين يومَ بدرٍ .

لقد كان « نُبَيْهٌ » بضمّ النون وفتح الموحدة بعدها « ياء » ساكنة « فهاء » وكنيته « أبو الزّرام » بتشديد الزّاء المعجمة ، ابن الحجاج بن عامر بن خديفة بن سعيد بن سهم بن عمر ابن هُصَيْنِص « بالتصغير » بن كعب بن لؤى بن غالب . وكان نُبَيْهٌ شاعراً مطبوعاً على الإجابة ، وقد قيل : إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول :

تلك عرساي تنطقان لهجره وتقولان قولاً أئره وعتره

فقال نُبَيْهٌ من القافية نفسها ، في زوجته وقد سألتاه الطلاق :

تلك عرساي تنطقان على عمّ يدان اليوم قول زورٍ وهترٍ
سألتاني الطلاق أن رأنا ما لي قليلاً . . قد جثماني ينكرٍ
فلعلّي أب يكثر المالُ عندي ويعرّى من المنارم ظهري
وترى أعبدُ لنا وأواقٍ ومناصيفُ من خوادمٍ عشرٍ
ونجرُّ الأذيال في نعمةٍ ثمّ تقولان : ضع عصاك لذهري
وي كأن من يكن له نشبٌ يُجيبُ ومن يفتقرٍ يعيش عيشَ ضرٍ
ويجنبُ سرّ النجى ولكن أخوا المال مُحضَرٌ كُلُّ سرٍ

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً لكثير لأجلب الناس حوئي
ولقأوا : أنت الكريمُ علينا ولخطوا إلى هواي وميلى
ولكيتُ المروف كيلاً هنيئاً يُعجز الناس أن يكيلوا كئيل

(١) في خزنة الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبنتي إلا امرأً ذامالٍ
لا أبنتي إلا امرأً ذا أنضرٍ كما أسدٌ مفارقٍ وخِلالي
فلاحرصنَّ على اكتسابٍ مُحَبَّبٍ ولاكسبنَّ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بابن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنعة والرفقة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطأ نسختي غاية في الحُسن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان منرمماً بشعر أبي العلاء المرسي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أن الخير كلُّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في النزول :

ما عشتُ من ألم الفراقِ لو لم أُطلُ أملَ التلاقِ
فأطلُّ كاللُسوعِ من أفعى النوى ، ورجاي راقِ
يا نالكَ القمرين إلا في الكسوفِ وفي المحاقِ
حتام دمعى فيك لا يرقا . . وروحي في التراقي
وإلام يستسقي الفؤا دُ ظمًا ، وأجفاني سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
والحب ما أروى الضو ع جوى ، وما أروى الآق
فَعَسَاكَ أَنْ تَجْزِي مُحِبَّةً كَ فِي الْحَبَّةِ بِالْوَقَا
ولقد لقيتُ هواكُ أء ظَمَ مَا لَقِيتُ ، وَمَا أَلَاقِي
وصبرتُ فيكَ عَلَى الْعِدَا صَبْرَ الْأَسِيرِ عَلَى الْوَثَاقِ
وعلمتُ أَنْ الصبرُ يَا عَذَبَ اللَّعْمَى مُرَّ الْمَذَاقِ
فاعرض عن الإعراض إء راضى لَدَيْكَ عَنِ النَّفَاقِ
وارفق ولو بالإلتفا ت عَلَى مَا بَيْنَ الرَّفَاقِ
فلقد يكون تَلَفْتُ الأ عناق دَاعِيَةَ الْعِنَاقِ
واستبقِ مَنِيَّ بِالْقَا ءِ بَوَاقِيًا لَيْسَتْ بَوَاقِي
أعضاء صبَّ ، ماله إِلَاكَ مِنْ عَيْنَيْكَ وَاقِي
فالبعضُ سودُ عيونها أَمْضَى مِنْ الْبَيْضِ الرَّقَاقِ
وقدودُهِنَّ رَاشِقٌ فِي الطَّعْنِ كَالسَّمْرِ الرَّشَاقِ
وإذا بُليتُ بِمَجْهَنِّ مُبْلِيَتٌ بِالذَّمْعِ الْمُرَاقِ

ومن جيد شعره قوله :

تفتدَّاكُ ساقياً قد كساكُ ال حُسْنُ مِنْ فَرَقِكَ الْمِضَى لِسَاقِكَ
تُشْرِقُ الشَّمْسُ مِنْ يَدَيْكَ ، وَمِنْ فِي لِكَ الثُّرَيَّا ، وَالْبَدْرُ مِنْ أَطْوَاكِكَ
أَوْلَيْسَ الْعَجِيبُ كَوْنُكَ بَدْرًا كَامِلًا ، وَالْحَاقُ مِنْ عُشَاقِكَ
فِتْنَةٌ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وَتُحْيِي بَتَلَاكِيكَ مِنْ تَشَا ، وَفِرَاقِكَ
لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ بَلْ أَز تَ مَلِيكَ أُرْسِلْتَ مِنْ خَلَاكِكَ

الحبّ خضوع النفس :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل
اليميني الحسيني مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثمّ توطن المَخَا ، وحصل له بها شأن عظيم يعبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طوّلى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنّه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنّه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ
قَد قُلْتُ حِينَ جَهَلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أُمَّ لَمْ تَعْرِفِ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحْبَبْتَهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ الْغَرَامَ وَأَهْلَهُ فَاحْتَرِ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي

وقال مخمّساً قصيدة ابن النبيه :

رَقْمَ الْعَدُولِ زَخَارِفًا وَتَصْنَعًا وَأَشَاعَ قَقْضَ الْعَهْدِ عَنَّاكَ وَشَفَعًا
فَأَجَبْتَهُ وَالنَّفْسُ تَقَطَّرُ أَدْمَعًا أَفْدِيهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضِيَعًا
مَلِكَ الْفَوَاذِ قَاعَسَى أَنْ أَصْنَعًا

حَكْمَ الْغَرَامِ فَلَدُّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَائْتَبْتُ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبِ رِسْمِهِ
وَإِخْضَعُ لِعَدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَدُقْ ظَلَمَ الْجَيْبِ كَظَلَمِهِ
حُلُوءًا فَقَدْ جَهَلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بَلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصُ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكْصُ
وَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَرْتُمْ رَقْصُ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الصَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَمَّا وَتَضَعُضًا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْلَاوَاحِظِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَنْكَلِّمْ

وهجرتنى ظلماً ولم أتظلم هل في فؤادك رحمةً لمُتيم
ضممت جوانحه فؤاداً موجماً
إني اعترفتُ بزلتى وجنائيتي ورضاك مقصودي وغاية غايتي
يامن ضلالٍ فيه عينٌ هدايتي هل من سبيل أن أبتَّ صبايتي
أو أشتكى بلواي أو أتضرعاً؟
لى فى حماك مسارح ومطامح كم بتُّ للفرلان فيه أطارح
يا قلبُ إن اليومَ طيبك نازحُ ياعينِ عُدرك أن حُبى واضِحُ
كُلِّى لفرقتِه أرادَ وأزَمَعا

أشتقى الناس أهواها :

زين الدين أحمد بن على بن الحسين بن على الشافعى الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان له مذاكرة تأخذ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات وترغَّبُ من محاضرات الراغب ، وله شعر قصير منه قوله :

كتبت وأنكارى بحبك مُزَّقتُ كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حُمَّ لى التوفيق كنتُ تركته ولكننى أصبحتُ غير مُوفق
إذا قيل أشتقى الناس من بات ذا هوى فلا تفكرون هذا المقال وصدق

وقال متنزلاً :

سألها عن فؤادى أين مسكنهُ فإنه ضلَّ عنى عند مسراها
قالت : لدى قلوب جمَّة جمعت فأياها أنت تبغى ؟ قلتُ : أشقاها

رابعة العدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .

وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرقُ
بالنار قلباً يحبُّك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نعمل هذا فلا نظنني بنا ظنَّ السوء !
وكان سُفيان الثوريُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنناه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزنناه ! . لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تتنفس .

وقال بعضهم : كنت أدعو رابعة العدوية ، فرأيتهما في المنام تقول : هداياك تأتينا على
أطباق من نور محمّرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهرورديّ - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إني جعلتكَ في الفؤادِ محدثي وأبحتُ جِسمي من أرادَ جلوسِي
فاجلسُ مني للجليسِ مؤانسٍ وحبيبِ قلبي في الفؤادِ أنيسي

الحبّ أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفيدي :

انتصف الليلُ ، وأقبلتُ عساكرُ السعد بالرجل والنخيل ، فأصرت صاحبي برفع المدام ،
وتجهيز المرقد للنام ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
نفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والمدر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : نم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحقنا منه الروءة والشفقة ، فأخرج عناورد
الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأتعم بتقبيل الثمر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُعِدُّهُ سُكْرًا وحاول أن يسعى فلم يُطِقِ

وقال لي بفتورٍ من لواحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنقِ

فقال : استغفر الله من الفجور والآنط ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من الماصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إلا من مَحَبَّتِكُمْ فإنها حسناتي يوم ألقاهُ
فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى به اللهُ

الهوى قدره :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرقُ يلْمَعُ في العَمَامَةِ

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلى . ومعناه : إن البرقَ يضحك

والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلعب

في النمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أُرْوَيْتَ مِنْ ظَمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنْ الْهَوَىٰ بَدَلُ
فَحَسِبُ نَفْسِي غَنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَاوَزِي
فَالِ أَهْوَىٰ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ اسْتَخْفَىٰ التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّىٰ
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعَتْ وَعَشْ سَلِيمًا
وَتَسْلُكَ فِي الْهَوَىٰ سَنَنًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا ؟
وَلَا أَرْضَىٰ مِنَ الْوَصْلِ الرَّضِيًّا
خَسِسْتُ عَنْ أَنْ أَحْيَىٰ أَوْ أُحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّابِعُ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ
مَا عَالِجَ النَّاسِ مِنْ وَجْدِ أَلْمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاؤُهُ ، وَأَنَّىٰ فِي مَحَبَّتِهِ
عَرَّجَ أُنْبُوكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أُجِدُّ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّهَ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْنَهُدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

إِلَّا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة^(١) :

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والمعرفة . ومحبة البرّ يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حبّ الولد^(٢) :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤُ ظليمةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمحجوك ودمّهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وإني لملولاً غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمرَ يذهب بولده سالمٍ كلَّ مذهب ، حتى لامهُ الناسُ فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهمُ وجيلدةُ بين العينِ والأنفِ سالمٌ وقال : إن ابني سالمًا ، ليجبُ اللهُ حبًّا لو لم يَخفه ما عَصَاهُ .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ -

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داوداً كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان عَلَقَمَةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أَلْفُهُ فيه حتى اشتريتُ له شِكْوَةَ يَدَانِ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرَضِيَنِي لَكَ فَخَذَرْتِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّذْلِيلُ إِلَى التَّفْرِيطِ ، وَخَيْرَ الْآبَاءِ لِلْآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إِلَى الْعُقُوقِ .

وفي الحديث المرفوع : « رِيحُ الْوَالِدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ » . وفيه أيضاً : الْوَالِدُ مِنْ رِيحَانِ اللَّهِ .

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفَاطِمَةَ : « رِيحَانَةُ أَشْمَهُمَا وَرِزْقُهَا عَلَى اللَّهِ » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشةُ . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ الْقَلْبِ . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ كَيَلِدُنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيُقَرِّبُنَ الْبَعْدَاءَ ، وَيُورِثُنَ الضَّغَائِنَ .

فقال له معاوية : لا تقل ذلك يا عمرو : فوالله ما مرضَ المرضَى ، وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى ، وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلَهُنَّ . وَرَبَّ ابْنِ أُخْتٍ قَدْ نَفَعَ خَالَهُ .

وقال المَلِيّ الطَّائِي :

لَوْلَا بُنْيَاتُ كَزُغَبِ الْقَطَا يَرُدُّدَنَّ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ . فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ

عنها وتقول :

إِنَّ بُنْيَّ شَبَهُ النَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزبيرُ بين العوامِ يُرَقِّصُ عُرْوَةَ ابنه ويقول :
أبيضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مُبارِكُ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ
الثَّدُءُ كما أَلدُّ رَبِيقِ

وقال أعرابيٌّ يُرَقِّصُ وَلَدَهُ :
أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ النَّعَاسِ وَخِفَةَ مِنْ رَأْسِهِ فِي رَأْسِي
وقال عبد الملك : أَضْرَبْنَا فِي الْوَلَدِ حُبَّنَا لَهُ ، فَلَمْ نُؤدِّبْهُ ، وَكَأَنَّ الْوَلِيدَ أَدَبْنَا (١) .

* * *

حبّ الأياشي واليتامي :

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا
وأيتمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنتُ مُقبلةً من البادية في رِفْقَةٍ ، فخرجت علينا خَيْلُ
عَدُوٍّ فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تَمَلَّمْتُ فِي وادِي الْحِجَارَةِ مُسْنِدًا أَراعِي نَجْمًا ما يَرِينُ تَغْيِرًا
إِلَيْكَ أبا العاصي نَضِيتُ مَطِيَّتِي نَسِيرَ بِهِم سارِيا وَمَهْجِرًا
تَدَارِكُ نِساءَ الْعالمينَ بِنُصْرَةٍ فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُغِيثَ وَتَنْصُرًا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستمداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فزأ
تلك الناحية ، وأثنخن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكمُ ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدورَ ، وأنكى العدوَّ ، وأغاثَ الملهوفَ ، فأغاثه اللهُ وأعزَّ نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :

ألم ترَ يا عباسُ أني أحبُّها على البُعدِ أفتاد الخيسَ المظفراً
فأدركتُ أوطاراً . وأبردتُ غلَّةً ونفستُ مكرُوباً وأغنيتُ معسراً
فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك اللهُ خيراً عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب^(١)

قول لسان الدين الخطيب :

أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشقُّ إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :

تسأليني : من أنت ؟ وهى عليمَةٌ وهل بفتى مثلى على حاله نكرُ
فقلت كما شاءت و شاء لها الهوى قتيبك ، قالت : أيهم فهم كُثرُ ؟

وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حكمٌ تجرى مجرى الأمثال : المحبةُ مجرٌ بعيد الشطِّ ، والفناء مُنتهى الخطِّ . المحبةُ مهوى من بعيد ، ومجالٌ وعدٍ ووعد .

المحبةُ ظهرٌ لا يركبه من يرى الموت فينكبه . كم قصمت المحبةُ من ظهر ، وكم سير صوتٌ إلى قهر .

(١) في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة :

قال ابن السبكي رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجُنْ دَارَنَا
قُلْتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . . زَائِرًا
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِ بِنَا
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا
قالتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا
قالتُ : فَحَوْلِي إِخْوَةٌ سَبْعَةٌ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتُنَا حُجَّةً
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى
إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرٌ
وَلَا يُلَامُ الزَّائِرَ الْحَاضِرُ
قُلْتُ : فَسَيْفِي مَرْهَفٌ بَاتِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ
قُلْتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَازِرُ
فَأْتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
لَيْلَةٌ لَا نَاهٍ وَلَا آمِرُ

حب الأُزواج

زواج النبي من خديجة^(١) :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قال فى تلك الخطبة : « أما بعد ، فإنّ محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قِل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جوربة لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستَحْيياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشدَّ حباً لله ، لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .
وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بما لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيراً ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصعبه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد ماشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال . وقصَّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثمَّ أنست في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فمرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرًا راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلةً ساستهم فلم ترض بواحدٍ منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والنخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتسكبه بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينما كان يتحدث في غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجاب النبي : ما أنا بقارئ . فضمَّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زماوني » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بمد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يخزيك الله أبداً .

إنك تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثم رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذى ينزل على أنبياء الله ورسوله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتى بلغ الأربعين ، معاشرة كلها الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرقيق المكنانة . فتقول : « كل شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء ، فهو صاحب الأمر والنهي » . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزن عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أو لم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغير وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحد ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معافراً ، وملاّت على أركان حياتي أنسا وسؤدداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبّه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة :

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوّجوا الولود الودود من النساء ، فإنى مسكأر بكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكرأ كئيب ، أو ثيباً كئيباً ، حاوة من قريب ، نعمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

السيدة سكينه بنت الحسين :

كانت سكينه بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقتها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمعهُ إلا الإذعان لأمر سكينان . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرقة السكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له :
أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى ذهبت نحو سقاء الماء أبرد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تتقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبثتها سرى وبخت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هوائك وما ألقى على بصرى

والسيدة سكينه ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبيه . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميتها زبراء ، قالت : أسميتها باسم إحدى أمهاتى ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

(١) ابن خلكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيا ، وابنة - ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعهُ خاب البقيع وخاب فيه الزارعُ

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبت ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تحطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أختك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتوها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتوني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شبّب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

نَفَاكَ الْأَعْرَابُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكيئة بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعييت

في أوّل طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَقْعُدَنَّ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَةٌ وَيَطْفَنَ أَحْيَانًا عَلَى فَرْ

حَتَّى اسْتَلَمَنَّ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ

فَمَرَّغَنَّ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا

لجهدت أحشأؤهنَّ » .

وكانت سكيئة - رضى الله عنها - على جانب وافر من الللال الطيبة فوق ما امتازت به

من كريم المحدث ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة .

فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة

وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكثزة اللحم ، على قسط وافر من العلم والأدب ،

والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها

قائلًا له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلّقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرْمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلَقٌ سَوِيٌّ فِي الْهَيَاءِ وَمَصْدُقٌ

أَعَاتِكُ ، لَا أَسَاكُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوِقُ

أَعَاتِكُ لَا أُنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ
 أَعَاتِكُ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعَلَّقٌ
 وَلَوْلَا اتِّقَاءَ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتَهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
 فَبَلَغَ أَبُو بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَمَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ
 فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جِرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِعَاتِكَةَ حِينَ احْتَضَرَ : لَكَ حَدِيقَةٌ مِنْ مَالِي
 وَلَا تَزْوَجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَاتِكُ ، قَدْ طَلَّقْتَ عَنِّي بَعْصَةَ وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
 كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَائِنُ
 وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
 أَعَاتِكُ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْمَحْسِنُ
 وَإِنَّكَ مِمَّا زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَوَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَائِنُ

فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ اللَّهَ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
 كَيْمَاتٍ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فَجِئْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
 فَآلَيْتُ لَا تَنْفَكْ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أُغْبِيراً
 مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَامَةٌ أَيْكَةً وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا
 فَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ مِثْلِهِ فَتَى أَكْرَبٌ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبِرَا
 إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرَّمْحَ أَحْمُرَا

ثمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
 مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَفْتِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَيْتَهُ فَقَالَ
 رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَوَدَّتِ الْحَدِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) یعنی بذلك جزاءه علی ما لکتیز من الدنانیر « یوم یحیی علیها فی نار جهنم فتکوی بها جباههم
 وجنوبهم وظهورهم هذا ما کتیزتم لأنفسکم . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خديرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قتل عمر قالت :
وفجعتني فيروز لادر دره بأبيض تال للقران منيب
روؤف على الأدنى غليظ على العدا أخی ثقة في النسابات نجيب
متى ما يقبل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت :

عين جودي بمبرة ونجيب لا تمل على الإمام النجيب
فجعتني النون بالفراس المدم يوم الهياج والتذيب (١)
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته النون كأس شعوب

فخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتروجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتهانني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزها بيده . وكانت عزيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إن الله . وتركت الخروج ،
فقتل لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرود
يا عمرؤ لو نبتته لوجدته لاطأشاً رعش الجنان ولا اليد
سلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

(١) لكثارت الذب والدفع . وفي الأغاني التليب .

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فُقِتِلَ ومُثِّلَ به ،
فقالت :

لَئِنْ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ فَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَمْرِ (١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لَا تَدَعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَ دَعْلًا . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم تقول : لَا تَدَعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة
بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى
المسجد ، فشقَّ عليه ذلك وكره أن يمنحها . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من
الطريق ، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكررت راجعة وسبقها الزبير إلى
الدار ، فلما دخلت عليه تُسَبِّحُ ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس
ناس ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس :

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ،
أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها
عن « ثمانية وأربعة وائدين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . .
فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنةٌ صغيرةٌ له كأنها البدر لمته ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال: مثل به يمثل مثلاً ، مثل: قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثيلاً : إذا نكل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنان فشديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجّه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من سمن ، ونَحِيّاً من غسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلّة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خلوف - فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعي الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاءكم نضب . فقَدِمَ الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نساء ، وأمّا قولها أخي يراعي الشمس فإنّ أخاها في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاءكم نضب فإنّ التَّحْيِيْنَ اللَّذِينَ بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتّى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرّب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : ممّ تحتلج شفتاك ؟ فقال : لتقبيلي إياك . قالت : فمّ يختلج فؤداك ؟ فقال : لتورثي إياك . قالت : عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريبة ؟! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ شرطتى عليك
في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عمّاً شئت . فأرسلت إليه : ممَّ يختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشعشعات . قالت : فمِمَّ يختلج كرشحك ؟ قال : للبسى المحبرات . قالت :
فمِمَّ يختلج فخذك ؟ قال : لركوبى المطهّمت . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليكم به ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبه له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أمّ عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنو أجله أو قرب موته سألتها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بعدى والذى تضعرين يا أمّ عقبة

تمحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه

أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة

فقالت : والله لا أجيئك بكذب ، ولأجملنّه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمّ عقبة

أنا من أحفظ الوداد وأرعا هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه

سوف أبكيك ما حيت بنوح ومرات أقولها أو بندبّه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر ، فارعى لي حقَّ حُسن الوفاء
إننى قد رجوت أن تحفظى العهد دة ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي^(١) :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعن أنفه ، فتحامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القرى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرة فى زى سائلة ، تتعرض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلا سألتِ بِنى نَهانَ ما حَسِبى عند الطعانِ إذا ما احمرَّتِ الحدقُ
وجاءت الخليل مُحَمَّرًا بَوادِرُها بالماء يسفح عن لَبائِها العلقُ

(١) فى أمالى الزجاجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضِيَ فراضيةٌ أو تسخَطِي فإلى من تعطفُ العنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف

أنفسنا لك ، أما الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حاجَتِي فيمن قضاها
فما وطى الحِصانُ مثل ابنِ سَعْدِي ولا لبس النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنَّت عقيته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فإنا مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همِّه فكأنك أسير أو معونة غارم
وإن تنكحى زيداً ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقعدت كل قائم
وإن تنكحيني تنكحى غير فاجرٍ ولا جارٍ جرف العشيّة هادم
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سمّتْ بأنفسها نفسى كفعل الأشايم
وإن طارق الأضياف لآذ برحله وجدت ابن سَعْدِي للقري غير حاتم (١)
فأى هُدًى أهدى لك الله فأقبلي فإننا كرام من رؤوس الأكاريم

وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد عَدَرْتَنِي فى طلابكم العذرُ
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ وإمّا عطالٌ لا يُبْهِنُهُمُ الزجرُ
أماوى ما يننى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
وقد علم الأقبام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُّ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فوجل ذو ضرائر ، والصبر عليهن شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمرضى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجت نفسك !

(١) أى : غير بطى .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إن كنتَ أعطيتني جَمَالِيَّةً تستخِفُّ الصَّفَارَا
فإكان نَمَعَكَ لى مَرَّةً ولأمرَينِ ولكنْ مَرَارَا
أبوكَ الذي بايع المصطفي وسار مع المهدي حيث سارا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خلقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقبل له : طلقها ، فقال :

وإنّ فراقى أهل بيت أودّهم لهم زُلفَةٌ عندى لإحدى العظام
فكيف بصفو العيس من بعد بينهم وسُخْطُهُمْ يوماً . . عن الأنفِ خاطبي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو على كظهر آسى . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنس بن أبي أنس بن زنيم :

تعطى الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعاً
لو في أبي حفص أقولُ مقاتلي وأبشهُ ما قد أرى لأرتاعاً
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدم خيره .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبها ، وكانت
امرأة جميلة في أذنها عظمٌ ، وفي ساقها حموشة^(١) . وقال قوم : في قدمها عظمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

ورؤى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي معصب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : رأيت ذلك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلى لذن طرّشاربي إلى اليوم أخفى حبّها فأباين^(١)

وأحملُ في ليلى لقلبي ضَبِينَةً وتُحمَلُ في ليلى على الضنّائِنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان بيديها - وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشراقها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة^(٢) :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن بسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتماماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قرين نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فوجه فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقمته وهي تشوف له فوجدها سليمة ومعها أختاها : رضية وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تشكى الكُمَيْتُ الجُرْمَى لما جهدته وبين لو يستطيعُ أن يتكلّمَا
فقلت له : إن ألقَ للمين قرّةً فهان علىّ أن تكلّ وتسامَا
لذلك أدنى دون خيلي رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لأن لم أقل قرناً إن الله سلّمَا

فقال مسلّمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسلّمَة : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال خيف من أهلها وماقى الرّحال
ياسليان إن تلاق الثريا تلقَ عَيْشَ الخلود قبل الهلال
دُرّةً من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقبُ للالى
تعمد المئزر السخّام من الحرّ على حقو بادنٍ مكسال

وحدّثنا عمر بن سبّة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدّثنى كثير بن كثير السهمى قال : لما ماتت الثريا ، أتانى النريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؟ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزينة تبكين شجواً فشجوك مثله أبكى العيونا !

أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنها :

قال صاحب « سناء المهندى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامرأته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذهُ ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكلمتُ خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأمّلتُ نفعه ، ورجوتُ دفعه ، أراد أن يأخذهُ منى كرهاً ، فأنصفتنى فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل نبله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خفياً ، وحملته ثقلاً ، ووضعهُ شهوةً ، ووضعته كرهاً .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجِّحك .

* * *

المجرّد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبعتمُ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتنى نبيداً وغنت على عُودها بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أنفدَ إلى القلب :

كأنى بالمجرّدِ قد علته . . . نِمالُ القومِ أو خُشبُ السوارى

فقلت لها : جُمِلتُ فداعك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُعنى به . قالت : أنا أولُ من تنسّى به ، وإنما هو بيتٌ لا يدرى قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلتُ : سُرِّيَ بَأَن تَغْنِيَهُ لِعَلِّي أَفْهَمُ . قالتُ : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغنى به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتها وجاءت العشاء الأخيرة ،
وضعت عودها ، فقامتُ فصليتُ وما أدري كم صليتُ مجلّةً وتشوقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جعلتُ فداءك في الدنوِّ منكِ ؟

قالتُ : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ منّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أشقّ ثيابي من المجلّة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّداً . قالتُ :
انتبه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حصير في النرفة ، فما كدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحتته ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كنا في ناحية ، وأعدّا ناهلما . فلما هبطت عليهما
بادراني فقطّما ناهلهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضرب حتى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أخبطُ بنمالٍ مخصّوفةٍ ، وأيدٍ ثقالي ، وخُشبٍ دقّاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يفتني :

كأني بالمجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشبُ السوّاري
ولو علمَ المجرّد ما أردنا لبادرنا المجرّد في الصحاري

الشعراء العشاق

جميل بثينة^(١) :

إنَّه لَمَعُومٌ أَن بَثِينَةَ مَحْبُوبَةَ جَمِيلٍ قَائِدِ الشَّعْرِ ، وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءِ مَخْصُوصَةٍ ،
وَاشْتَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِعِن تَنْزُلِهَا ، فَاشْتَهَرَ جَمِيلٌ بِبَثِينَةَ ، وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ بِعَزَّةَ ، وَعَرُوةُ
ابْنِ حِزَامٍ بِعَفْرَاءَ ، وَقَيْسٌ بِمَجْنُونِ بْنِ عَامِرِ بَلْبَلِيٍّ ، وَقَيْسٌ بْنُ ذَرِيحٍ بِبَلْبِنِيٍّ ، وَالْمَرْقَشُ بِفَاطِمَةَ ،
وَذُو الرِّمَّةُ بِبَيْتَةَ وَهِيَ الْخُرَقَاءُ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ بِفَوْزٍ .

وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ لَا يَلْتَزِمُ التَّنَزُّلَ بِامْرَأَةٍ مَخْصُوصَةٍ كَامْرَأَةِ الْقَيْسِ .
وَبَثِينَةُ مُصَغَّرٌ . بَثْنَةٌ - قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : الْبَثْنَةُ - بِالنَّسْكِينِ : الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ ،
وَبِتَصْغِيرِهَا سَمِّيَتْ : بَثِينَةَ .

أَمَّا قِصَّةُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَدْرِيِّ ، فَقَدْ رَوَى صَاحِبُ « الْأَغَانِي » بِسَنَدِهِ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ جَمِيلٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رَهْطِهِ يَتَحَدَّثُونَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا لَلَّهِ حَدَّثْنَا بِأَعْجَبِ يَوْمٍ لَكَ مَعَ
بَثِينَةَ . قَالَ : نَعَمْ . مُنَعْتُ مِنْ لِقَائِي مَدَّةً ، وَتَمَرَّضْتُ لَهَا جَهْدِي فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهَا ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ
لَيْلَةٍ جَالِسٌ بَيْنَ شَجَرَاتٍ بِالْقَرْبِ مِنْ حَيْهَا ، وَقَدْ أَقْبَتُ ثَلَاثًا أَنْتَظَرُهَا ، إِذَا شَخْصٌ قَدْ أَقْبَلَ
إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ وَانْتَضَيْتُ سِيفِي ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ غَشِيَنِي الشَّخْصُ ، فِإِذَا هِيَ بَثِينَةُ قَدْ أَكْبَتَتْ
عَلَيَّ . فَأَدْهَشَنِي ذَلِكَ ، وَبَقِيْتُ مَتَحِيرًا لَا أَحِيرُ جَوَابًا إِلَيْهَا ، وَلَا أَرَا جَمْعًا كَلِمَةٍ حَتَّى بَرَقَ الصَّبْحُ ،
وَمَا اسْتَنْطَمْتُ أَنْ أَكَلِّمَهَا .

قَالُوا : فَهَلْ قَلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَهُمْ قَصِيدَةَ طَوِيلَةً . .

وهذه أبيات من أولها :

أَهَاجِكُ أَم لَّا بِالتَّنَاضُبِ مَرَبِّعُ وَرَسْمٌ بِأَحْرَاجِ النَّدِيرِينَ ، بَلْقَعُ

ديارُ الليل^(١) . . إذ نُحِلُّ بها مَماً وإذ نحن منها في المَوْتَةِ نَطْمَعُ
 فياربِّ حَبِيبِي إِلَيْهَا ، وَأَعْطِنِي الـ مودَّةَ منها ، أنتَ تعطى وتَمْنَعُ
 وإلا . . فصَبْرُنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهاً فَأَيُّهَا يَذا المَراجِ مُوَلِّعُ
 فَإِنْ يَكُ قد شَطَّتْ نَواها وقد نأتَ فَإِنَّ القَوى مَما تُشِيتُ وتَجْمَعُ
 جَزَعْتُ غِداةَ البَينِ لِمَا تَحَمَّلُوا وما كانَ مِثْلِي يا بَئِيتُهُ يُبْجِزِعُ
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَومَ بَأَنوا بِنَظَرَةٍ وهل عاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جميلًا طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بئينة خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلًا ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدت عليهما ، فاتقياه بالهرب . وناشدته بئينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمخْتَلِفِ الأرواحِ بَينَ سَويقَةٍ وَأَحْدَبِ^(٢) كادتَ بَعدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ^(٣)
 أَضْرَّتْ بِهَا النِكبَاءُ^(٤) كلَّ عَشيَّةٍ وَتَفْحُ الصِّبا^(٥) والوايِلُ^(٦) المَتَّبِعُ^(٧)
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَحَلَّتْ عَمَائِي^(٨) وَمِلَّ الوَقُوفِ الأَرَحِي^(٩) المَنووقِ^(١٠)

(١) لا يخفى أن جميلًا ينسب ببئينة . ولأنما ذكرها باسم ليلي جريا على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحيانا .

(٢) سويقة وأحدب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) تفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبع : المطر العظيم .

(٨) عمائى : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحى : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليل : إنَّ ذا لصبابةٌ
تعرَّ وإن كانت عليك كريمةٌ
ألا تزجرُ القلب اللجوج فيلحق
لعلك من أسباب^(١) بثنة تُعتقُ
فقلت له : إنَّ البُعَادَ يشوقني
وبعض بعادِ البين والنأي أشوقُ

كثير عزة :

من «بلاغات النساء»^(٢) ما حدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن ياتي من يمحج من قريش في كل سنة بهديَّة ، فنفل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلِّبة جهلاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتى احترق وضجر وجاء وقد راح النَّاس ، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذ أقبل كثيرٌ فجلس إلى جنبي ولم يسلم . ثم جاءت امرأة جميلةٌ وسيمةٌ ، فاستندت إلى خيمةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وكنت إذا ماجئت أجلن مجلسي وأعرض عني هيبه لا تجهماً

قال : نعم . فتأمّلت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثيرٌ : من أنت ؟ واحتدّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعْتُك وقطعتُ قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أأنت الذي تقول :

متى تنشروا عنى العامة تبصروا جميل الحيا أغفائهُ الدّواهنُ ؟

أنت جميل الحيا ! ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلك من أسباب بثنة . روى بدله : لعلك من رق لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجّر كثير، وسكّمت عنه حتّى سكن . ثمّ قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظراتِ كأنّه هِرَقْلِيٌّ وزنِ أحرّ التَّبْرِ وازنُ
 أهذا الوجه يروقُ العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت، ولأقطعنك وقومك، وقام . فالتفت فإذا هي قد ذهبّت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك علىّ إن أخبرتنى من هي أن أطوى لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هي . هذا كثير -
 وهو مولاي - قد آبيت أن أخبره من هي .
 قال القرشى : فرحت وبى أشدّ مما بكثير ! .

عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً في النساء ، وغشقاً لماسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

وكادتُ توالى نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ	فلما تقضى الليلُ إلا أقله
هبوبٌ ولكن موعِدُكَ عَزَّوَرُ	أشارت بأن الحى قد حان منهم
وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمرُ ؟	فلما رأت من قد تنبه منهم
وإمّا ينال السيفُ ثأراً فيثأرُ	فقات : أباديهم فإمّا أفوئهم
علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّرُ	فقات : أتحميقاً لما قال كاشحُ
من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ	فإن كان مالا بُدّ منه فغيره
ومالى من أن تعلماً متأخرُ	أفص على أختي بدء حديثنا

(١) في خزنة الأدب ج ٣ .

لَمَّهْمَا أَنْ تَبْنِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْجَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدِّرُ
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْبَلِي عَلَيْكَ اللَّوْمَ فَالْخَطْبُ أَيَسْرُ
يَقُومُ فِيمَشَى بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَسَكَانَ مَجْتَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَى ثَلَاثَ شَخُوصٍ : كَاعْبَانَ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل :

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيِّيًا لَيْلَى أَجْدَّ رَحِيلِي وَأَذْنَ أَصْحَابِي غَدَاً بِقُفُولِي
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتَكَ أُمُّ الصَّلْتِ بِمَدِّ ذُهُولِي
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِي
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَشْتَتِكِ عَبْرَةٌ تَعَلَّ بِهَا الْعَيْنَانِ بِمَدِّ نَهُولِي
وَكَمْ مِنْ خَلِيلِي قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِي
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَى ، وَأَوْشَكُهُ قَلِي وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِي
لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا بُوِّحَتْ عِنْدَهُمْ بَلِيلِي ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِي
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَأَشُونَ عَنِّي بِكَذْبِيَّةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِجُوبِلِي
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَتَفَهَمِي بِنُصْحِي أَى الْوَأَشُونَ أَمْ بِجُوبِلِي
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوَدَّةً فَقَدِمًا تَخَذْتُ الْفَرْضَ عِنْدَ بَدُولِي
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْتَنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِي
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِي قَلِيلِي ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِي

وليس خليل باللول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديمُ وصاله
ولم أر من ليلى نوالاً أعدّه
يلومك في ليلى وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك ليلى ولآتهم
فاثتفتت نفسي بما أمرُوا به
وقالوا : نأت فاختر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
ومازلت من ليلى لدن طرف شاربي

إذا غبتُ عنه باعنى بخليل
ويحفظُ سرّي عند كلّ دخيل
ألا ربّما طالبت غير منيل
رجالٌ ، ولم تذهب لهم بقول
بقاطعة الأقران ذات خليل
ولا عجتُ من أقوالهم بفتيل
فقلت : البكا أشقى إذن لئليل
أفانلتى ليلى بنير قتيل ؟ !
ومال بنا الواشون كلّ مميل
إلى اليوم كالمقصى بكلّ سبيل

حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بمحصب أرضها - جبل يقال له : ضارج . .
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويملو الماء فيه مكان مرتفع
يقال له « طامى » ويقال له أيضاً : ثور الماء ، لتفجر ثورانه من بين صخور وأحجار .
وقد ذكر البكرى أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذى
يقى عليه الظل وارفاً جميلاً من نبات العرمض ، بفضرتة اليانعة ورأحتة الطيبة . . . ذكر
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأته أن الشريمة همها وأنّ البياض من قرأئها دامي
تيممت العين^(١) التى عند « ضارج » يقى عليه الظل عرّمضها طامى^(٢)
وإنّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التى أبدع الله صنعها .

(١) لإشارة إلى الماء . (٢) الطامى : المرتفع الذى يعلو نباته الماء .

ذو الرمة ومية :

اشتهر ذو الرمة بحبّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : مِية . ومما يؤثر عنه أنه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلّقُ حبال الوسائل
وأهلكِ ودِّ فد تَبْرَيْتُ ودَّهم وأبْلَيْتُهُم في الحمد جَهْدِي ونائلي

توبة وليلي الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية ^(١) » لم تكن امرأة
نوية بن الحمير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شائبك ، إلا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهماً ، وتلك هي السنّةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف - فأحسوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقاً ،
وبينه وبين الحىّ مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعاً قابضاً والمرهفاتُ تنوشهُ فقَبَّحْتَ مدعواً ، ولُبَّيتِ داعياً
فياليتَ عبد الله حلَّ مكانهُ فأودَى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً

ومن جيد ما ترضيه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالوت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغائر
فلا الحىّ مما يحدث الدهر سالمٌ ولا الميتُ إن لم يصبر الحىّ ناشرٌ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٥ .

وكلُّ شبابٍ أو جديديٍّ إلى بليٍّ وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائِرُ
 فلا يُعَدِّ نَكَ اللهُ تَوْبَةَ هَالِكاً أخوا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
 وأقسمت لا تنفكُ أبكيكَ مادعتُ على غصن ورقاءٍ أو طار طائرُ
 قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أي : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضمّر « لا » في القسم مع المنى - لأنَّ الفرق بينهُ وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « تالله تفتأ تذكر يوسف » أي : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميتُ إن لم يصبرُ الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أي . أحياهم فخيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميثاً إلى نحرها عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ
 حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميتِ النَّاسِرِ

ومن أغرب ما روي في (الصدى) ما رواه أبو علي من أن ليلي الأخيلية مرت مع زوجها في بعض نجومهم بالموضع الذي فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة في بني الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بكِ إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صدها كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأخيلية سلّمتُ على ، ودوني جندلٌ وصفائحُ
 لسلمتُ تسليم البشاشة . . أو زقاً إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقال له : وما تريد من رمّة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك في يوم قائلٍ ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلَّ بججارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحتها ووقعت ، فانت !

وفي هذا الخبر ما يحق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تَرْوِي عِظَامِي فِي الْمَاتِ عَرَوْهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ إِلَّا أَذَوْهَا

وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاك يومه فإذا هو عليه عريش ،
فتمجّب من ذلك !

عميد الله بن طاهر وجاريتته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس البرّد قال :
دخلت على عميد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعملة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خفف عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ما تحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حلف الظريف بقطعه يده إن مسّ من يهواه بالألم
حتى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصاد تحيلة القسم

قلت : حسن أيها الأمير . فاسيبه؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمت لما نالها من الألم ، فحلفت بقطع يدي ، فأقنيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأحنس
لأبي نواس :

ما بال قلبك لا يقرُّ خُفوقاً وأراك ترعى النجمَ والعيوقاً
وجفون عينك قد نثرن من البسكا فوق المدامع لؤلؤاً وعقيقاً
لو لم يكن إنسان عينك ساجحاً في بحر دمعته لمت غريقاً

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خنساء إخنساء وحتى متى يرتفعُ الناسُ وتَنَحَّطُ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيَطُ

فقال خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بَحْرُ هوى ليس له شَطّ
يدركك الوصلُ فتنجُورُ به أو يقع الهجر فتتَحَطّ

حب زينب بنت إسحاق النصراني :

من فوائد الرَضَى الشَّاطِبيِّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام اللغويّ رضی الدّین أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ ونيّم لا أحولُ ذكرهم بسوء ولكنني محبّ لها منهم
وما يعتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال نصارى تحبّهم وأهل النهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبّهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب :

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوكٍ ملبحُ الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فخلوتُ به يوماً ، وداعبته بباراتٍ تُنسي عن شدة شمنى به ، فقال لى : حذار أن تعود لثقل هذا الكلام ، فليجدر أن آذانٌ ، ورب عثرة لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع السكمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِماً قد ظلَّ فيك مُحَيِّراً
وامْنُنْ علىّ بساعةٍ فى خلوّةٍ إن كنتَ تطمَعُ فى الهوى أن تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسةً .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلىّ فى غيرها : إنك كتمتُ أنى من بيت عريق
فى التقوى . وسأبقى عندى خطك شاهداً على ما فرط منك ، ولئن لم تنته لأطعن
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أمّا إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أُرغبُ إليه فى أن يرُدَّ الرُّقعة
إلىّ ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بألا ترجع إلى التكلم فى ذلك الشأن .
ولم يسمعنى إلا أن امتثلت ، لأنى رأيت صيانتي وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزميُّ - من الشعراء المطبوعين على حبِّ امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمِلُ في طبيعتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يُكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائله قلائده :

مصّت الشبيبة والحبيبة فالتقى
دمعان في الأجنان يزدهجان
ما أنصفتني الحادثات رَمَيْتَنِي
بمودة عين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلتُ للمعين حين شامتُ جمالاً
من بروق كواذب الإياضِ
لا يغرّئك هذه الأوجهُ الغرّ
فيارب حية في رياضِ
وقوله من أخرى أيضاً :

خيلبي عهدى بالليالي صوافياً
ولا تحسباً عيشي على فأنني
ولست أحبّ الضوء إلا لوجهها
أورخُ يوم الموتِ يوم افتقادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
ولا البدر إلا طالماً من بلادها
خيلبي هل أبصرتما مثل أدمعي
لسار فؤادي في طريق فؤادها
تقدتُ وحقّ الله قبل تقادها

وقال بعض الحكماء : ما أنسَ الإنسان ، ولا عمّر المكان ، ولا سلّى الأحران ،
ولا أعانَ على الزمان ، مثل البيض الموان .

وفي كتاب مُسَلِّمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : « الدنيا متاع ،
وخَيْرُ متاعِ الدُّنْيَا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقي عن أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : سئل النبي -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ فقال : التي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ ، وَلَا تَعَصِيهِ إِذَا أَمَرَ ،
وَلَا تَخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ مِنْ نَفْسِهَا ، وَلَا مَالِهِ .

وفي « الشهاب » : « النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ » والله دَرُّ أَبِي نَوَاسٍ
إِذْ يَقُولُ :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وقال شاعر آخر :

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَقَمَّلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة :

قال العُمَيْيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَعْدَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها
إِلَّا مُشَاشَةً كَتَفَيْهَا ، وَحَاكِمَةً تُدَيِّبُهَا ، وَرَضْفَى رُكْبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأَنْشَدَ :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَقْمِصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ العَمِيٍّ تَنَاوَحَتْ نَبَهَنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فُلَانَةٌ حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَكُرِبَ يَوْمٍ سَرَّتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبِضَ اللَّيْلُ
بَصْرِي دُونَهَا ، وَإِنَّ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

(١) في العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابيُّ امرأةً فقال : تلكَ شمسٌ باهتٌ بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليسَ لي شفيعٌ في اقتضائها ، وإنَّ نفسي لَكُتومٌ لِدائِمِهَا ، ولكنَّها تفيضُ عندَ امتلائِهَا . أخذَ هذا المعنى حبيبٌ فقال :

ويا شمسُ أرضِهَا التي تمُّ نورُهَا فباهتُ بها الأرضونَ شمسَ سَمَائِهَا
شكوتُ وما الشكوى لِمِثلي عادةٌ ولكنَّ تفيضُ النفسُ عندَ امتلائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبلَ اليومِ ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلبِ ، فانتقلَ إلى المَعِدَةِ ، إنَّ أطمَنتَهُ شيئاً أحبَّهَا ، وإلا فلا . كان الرَّجُلُ إذا أحبَّ امرأةً ، ظلَّ حَولاً يطوفُ بِدارِهَا ويفرحُ إن رأى من رآهَا ، وإن ظفَرَ مِنْهَا بِمجلسٍ تشاكياً وتناشداً الأشعارَ ، وإنَّه اليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه ، ويمدُّهَا وتمدُّهُ ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبًّا ولم يُنشداً شعراً .

وقال أعرابيُّ يشكو لوعةَ الحبِّ وكِتمانَهُ وصبرَهُ على من يُحبُّهُ ولا يطيقُ سُلوَانَهُ :

شكوتُ فقالتُ : كلُّ هذا تبرِّماً بِحُبِّي ، أراحَ اللهُ قلبكَ من حُبِّي
فلما كتمتُ الحبَّ قالتُ : لشدَّ ما صبرتُ ، وما هذا بفعلِ شجى القلبِ
وأدنو فتقصيني فأبعِدُ طالباً رضاها ، فتعمدُ التَّبَاعُدَ من دَنِي
فشكواي تؤذِيهَا ، وصبري يسوءُهَا وتجزعُ من بُعدي ، وتنفّرُ من قُرْبِي
فياقومر هل مِنْ حيلةٍ تعلمونها ؟ أشيرُ وإبها ، واستوِ جُبو الشكرِ من رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة^(١) :

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِمِ في نظم الشعر ، واتخذَ لنفسه طرائقَ سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساعه ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرُّبُهُ إلى الفهم ، حتى يتذوقُ أنغامَهُ المستمعُ شراباً

(١) في خاص الخاص للتعالي .

عذباً سلسبيلًا ، ويملاً به المحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد : قد أئنع فى وجنتى قلت : فمى باللثم يجنبيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشأقك فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفه وارع له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

يألت عيني تحملت ألمك وليت كف الطيب إذ فصدت
أعرته صبغ وجنتيك كما طرفك أمضى من حد مبضعه
وليت نفسى تقسمت سقمك عرقك أجزت من ناظري دمك
تغيره إن لثمت من لثمك فألحظ به العرق واغتمم ألمك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للمراض السارى تلهبه هل استمان جفونى فهى تنجده
وكيف طبق وجه الأرض صيده أم استمار فؤادى فهو يلهبه

ومنها :

بجانب الكرم من بغداد لي قمره صاحب ما صحبت الدهر مذ بعدت
لولا التجمل ما أنكأ نذبه دياره ، وأرانى لست أصحبه
من ذكره ولقلى ما يمدبه ولا الفراق شجانى ، بل تجنبه

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع إذا لم يكن فى الأرض حرث يعينى
قلت : ولكن مطب الرزق ضيق ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١) :

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمَنْدَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَى بِنْتَ «الْمَشْرِ» قَدْ نُصِّدِيهَا	كُلُّوْةِ الْغَوَاصِ يَهْتَزُّ جِيْدُهَا
تَجِدُ لَدَّةً مِنْهَا لِحْفَةَ رُوحِهَا	وَعَرِيهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدَ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةَ «الْمَشْرَيْنِ» : لَا شَيْءَ مِثْلُهَا	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوْ بِهَا وَتُرِيدُهَا
وَبِنْتُ «الثَّلَاثِينَ» : الشِّفَاءُ حَدِيثُهَا	هِيَ الْعَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عُوْدُهَا
وَأِنْ تَلْقَى بِنْتُ «الرُّبْعَيْنِ» فَنَبِيْطَةُ	وَخَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوُودُهَا
وَصَاحِبَةُ «الْخَمْسِينَ» : فِيهَا بَقِيَّةٌ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ ، صُلْبٌ عَمُودُهَا
وَصَاحِبَةُ «السِّتَيْنِ» لَا خَيْرَ عِنْدَهَا	وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ «السَّبْعِينَ» إِنْ تُلْفِ مُعْرَسًا	عَلَيْهَا فَنِلْسُكُمْ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وَذَاتُ «الثَّمَانِينَ» الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ «التِّسْعِينَ» يَرَعَشُ رَأْسُهَا	وَبِاللَّيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْأُخْرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢) :

عُرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي ، بحبِّ الجمال ، وشغف بتصوير ما يهشوقُ تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير :

يَارُبِّ ظَنِي كَالدَّامِ حَدِيثُهُ	فَيْسِينُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرِبُ
قَدْ خَلَّتُهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مِرَاةُ حُسْنِ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لِأَمْحٍ فَكَلَّهَا	هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨

وقال العالم أحمد التنبيني ، مضمناً نفس المصراع :

عَاتِبَتْهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ رَاحُ تَكَادِلِهَا اللَّوَاظِظُ تَشْرَبُ
بِالْعَقْلِ وَالشُّطْرِيحِ يَلْعَبُ وَهُوَ فُسْطَاطُ حُسْنِ لِمَسْرَةِ يَجْلِبُ
يَحْكِي الزَّمْرَدَ خَضْرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالدَّرُّ فِيهَا يَلْعَبُ

المرأة والطيب^(١) :

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ نَضْحِ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الْأَرْجَةُ هُنَا : كِنَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ شَبَّهَهَا بِهَا فِي طَيْبِ رَائِحَتِهَا ، وَمَا فِي لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرَةِ
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَكْرَهُ بِيَاضَ اللَّوْنِ الْمَفْرَطَ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَمَيِّونَ قَوْلَ الْأَعَشَى :
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَةِ :
صَفْرَاءُ فِي نَعِجٍ بَيْضَاءُ فِي دَعِجٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

تنف الوجه بالخيط^(٢) :

قال الناظم : لما استقر بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :
فَلَمَّا مَضَى شَهْرٌ وَعَشْرٌ لَمِيرِهَا وَقَالُوا : يَجِيءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا
أَمْرَتْ مِنَ الْكَتَانِ حَيْطًا وَأَرْسَلَتْ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تُعِينُهَا
هذه امرأة تنتظر عيراً تقدّم وزوجها فيها ، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط وتهيمّأله .
والجريّ : الرّسول . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في تنف وجهها بالخيط للترّين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

(٢) في أمالي الفائق ج ١ ص ١٩٨ .

(١) في الانفضاض ص ٣٨٢ .

فقال :

فإزال يَجْرِي السُّلْكُ في حرٍّ ووجهها
وجهها حتى ثننته قُرونها
ثننته : كفتته . وقرونها : ذوائبها . ومنه قول مجنون لئيلي لزوجها :
بربك هل ضَمَمْتَ إِيكَ لَيْلِي قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَأَهَا ؟
وهل رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلِي رَفِيفَ الأَفْحَوَانَةِ في شذاها

تشبيه المرأة بيدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أي : بدت مشبهة البدر ، وإذا تبدى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كأن من معنى الفعل . أي : برزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها ،
كأنها قد أرسلت نقابها . ودلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدى . وإنما فعلت ذلك
إمَّا للتشبيه بالإماء حتى تأمن السَّاءَ ، أو لما تدَّخلها من الرعب . ومثله قول الشاعر :
وَنِسْوَتِكُمْ في الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهَهَا يُخَلِّنَ إِمَاءَ ، وَالْإِمَاءَ حِرَاتِ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة :

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعبد والاجتهاد . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جاربه منهن جميلة ، فهويها وهام بها عقله . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمِّ لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك ، فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلتُ لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف نارا لا يخبو سعيها ، ولا يخمد لهيبها .

فلمّا أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون . ثمّ انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبّد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وشوقاً إليه حتّى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيسكى عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْحَبَّةُ يَا سَوْلى مَحَبَّتِكُمْ حَبًّا يَقودُ إلى خَيْرٍ وإِحسان

فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له في جَنَّةِ الخُلدِ مُلْكُ أَيْسَ بالقَائِي

فقال لها : اذكريني هناك ، فأنتى لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبعمائة ليلة حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكانت من عباد أهلها ، فسمّى القس من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثمّ أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبّك ، وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يمدك ؟ فإنّ الموضوع خال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثمّ نهض وعيناه تدرقان بالدموع من حباها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة^(١) :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّةَ ، وكان قد بلنه أنها تُعَجَّب
بسلام له اسمه « رَشَا » فأبعده ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنَّها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه
« طَلَّ » فكانت تكثيرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرته لَأَقْتُلَنَّكَ ،
فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » .
فلما شمعت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثمَّ أَمْسَكَتْ حتَّى لا تذكر اسم
(طَلَّ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فالذى نهى عنه أمير المؤمنين .
فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخِيَّةَ » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :

أَيَا سَرْحَةَ البُسْتَانِ طَالَ تَشْوُوقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
متى يشتفي من لئس يَرْجَى خُرُوجَهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ

فانظر كيف وَرَّتْ « بِظِلِّ عَنِ طَلِّ » بعد أن قدّمت ذكر السَّرْحَةِ - وهي الشجرة -
لنتمكن من لفظة ظِلِّ فبعمد التَّهْمَةِ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو الفلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقها ومن أشجع الناس وأحسنيهم بديهةً ، خطبها
جماعةٌ من أشراف الخوارج فَرَدَّسَهُمْ ، وكانت مع أمير الخوارج قَطْرِيَّ بن الفجاءة ، في جُنْدِ
(الأَبَاضِيَّةِ) فكانت ترتجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمَّتْ سَحْمَهُ وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَتْهُ

أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارجُ يَفْدُونَهَا بالأبَاءَ والأمهات ، وكان « قَطْرِيَّ » يشبُّبُ بها . وفيها يقول
في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق الغزل :

(١) في سناء المهتدى ص ١٩٣ .

لَمَمَرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
مِنَ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
لَمَمَرُكَ إِنِّي يَوْمَ الْأَظْمِ وَجَّهَهَا
وَلَوْ شَاهَدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصُرْتُ
غَدَاةَ طَنْتَ عِلْمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَاهَدْتَنِي يَوْمَ ذَلِكَ وَخَيْلُنَا
رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ

وَفِي الْمَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَثِيمٍ
طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ نَعِيمٍ
يَمِجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
أَغْرَ نَجِيبِ الْأُمَمَاتِ ، كَرِيمٍ
لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ نَعِيمٍ
تُبْسِحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
بِحَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١) :

ولابن الوردى فى « أسما » :

أرى أسما إذا غضبت وصدت
وإن هى واصلتني طاب قلبى
وفىها أيضاً :

قد لامنى فى حبِّ أسما عاذل
فأعجب لجرى مدامع أوقفها
وفى أمنة :

قد وعدتني بالوفا آمنه
كيف يخاف القلب من بينها
وقد غدت بالرضا آمنه
ومهجتي أفضحت بها آمنه

(١) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور .

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهدّ دنى بالمعجر في الوصل عامداً
محبّتها في لجة القلب كامنه
فأصبح منها خائفاً وهي آمنه
وللازهرى في أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قدروى نيران وجنتها
يوماً وعاذلها قد باء بالخرس
لكن حديث الابقا أرويه عن أنس
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترقّ لحالي
بفرط وجدى عليه
في الحبّ وهي حليلة
وفي خديجة :

خديجة قد سبتني
وكانت الروح تقسو
بنار خدّ وهيجه
والآن روجي خديجه

وفيها أيضاً :

نمشق في الهوى قلبي فتاة
أموت بحبها شوقاً وأحيا
تزين البدر ذو حسن بهيجه
إذا ناديت ياستي خديجه
وفي زينب :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها
وقل ليس يخلو ساعة منك آله
تقول فلان عندكم كيف حاله ؟

وفي سلمى :

لسلمى من لواظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً
لها في القلب فتك أيّ فتك
يعوت المستهام بنير شكّ

وفي عائشة :

أيا دهرُ خبرني بمحمتك واشفني
أيحلم أنّي في المحبة ميّت
فسهام فكري في أموري طائشه
وحبيبتى من بعد موتى عائشه

وفيها أيضاً :

شُغل القلب بقصدٍ أهيف
أنتَ دعني أن أمتُ في حبِّها
تركت منه العوالي طائِشهُ
ثمَّ دعها بعد عيني عايشهُ

وفي فاطمة :

فاطمةُ مذ كنتُ طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
متُّ جوِّى وهى بذنا عاله
ثم انثنتُ لى بأبها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قائمهُ
قد أرضعت طفل الهوى مرّةً
عادلّةٌ مع أنّها ظالمهُ
بوصلها ثمَّ أنثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قاتانى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاطمه
ما الإسم ؟ قالت : فاطمه

وللازهرى فى نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأخحت فى ملاحتها رئيسةً
وذات الحسن مرتبةً نفيسةً

ولابن الجميل فى طالة :

طالة عاملة بالجفاء
قلتُ لها هل تعامين الذى
قامتها عادلّة ظالمهُ
ألقاه قالت إننى عاله

وله أيضاً - فيها :

طالة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضلٌ جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى فى قابلة :

أقول لقابلة أدمى
أنا رجلٌ مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا يصدر عن سمتها الراحمة
تسكن أسرار رقاى لها أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابى وبالنت في جدالى
خود تسيط غرامى عن طرفها الغزالى

وللازهرى - في خياطة :

أحببنا كالبدر خياطة منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها وللقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بطبية عجانة ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجت فؤادى بالگرام فئاؤها من أدمعى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائمة الجين :

بايمة جين مُدْ همتُ بها رأى الورى روحى بها تعبانة
وكلّ أهل الحى قد تحققوا بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة بديمة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقات لها كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلّة تركية صارمها هندی
تفضحنى وجنّها فاعجبوا من وجنة فانحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر فجلّ من خلق
تملقى مكرراً ولا ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها يرق لي في حبها الشامة
أخشى من الملامة إذا قبلتها فشموم بجنتي ينطق الصامت
وله في بدوية :

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت فلو بدت لحسان الحضرة قن لها
في قومها كهياة بين آساد على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بى هيفاء من بنات العراق ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعى وشدت وثاقى بالمطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا وقالت : احذر يا فتى فتنة
في عينها شيء ولا جا هنا للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطأ ماظهر البدر من مشرقه
إن بنت العرب في موكبها كطلوع الشمس من مغربها
ولالأزهري في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها قد أحقرت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا فالويل ممن يعبد النارا
وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى رجاني الشد منه
فخ لها أى فخ وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها

قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها

بالرخ شاة تسترت بالفيل

لكن خذى فرسى هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١) :

قيل لأبي السائب المخزومي : أرى أحداً لا يشتهي النسيب ؟

فقال : أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنَّسِيبُ والتَّغزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهن ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقدنبه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلابه غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثلُ خلق الإنسان

في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتي انفصل واحد من الآخر وبإينه في صحّة التركيب ،

غادر بالجسم عاهة تنخون محاسنه وتعفى معالم جماله .

يالليل الصب متى غده^(٢) ؟ :

من نوادر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلوة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كان أبو الحسن ، على الحضرمي القيرواني ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أولها :

(١) في العمدة : لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد مَلَّ مَرِيضَكَ عُوْدُهُ وَرَأَى لِأَسِيرِكَ حُسْدُهُ
لَمْ يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسِ زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصْعِدُهُ
هَارُوتُ يَمْنَعُنِ فِي السَّحْرِ رِي إِلَى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَعْمَدَتِ اللَّاحِظَ فَتَكَ تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجْرُدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَدَّكَ وَجَهَ رِضًا وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا اشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَكَمْ فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فهي :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السَّمَارُ فَارَقَهُ أَسْفُ لِلْبَيْنِ يَرُدُّهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرَعَاهُ وَيُرْصِدُهُ
كَلَّفَ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ خَوْفَ الْوَأَشِينِ يَشْرُدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَا فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكَفَى عَجْبًا أَنِّي قَنَصُ لِلسَّرْبِ سَبَانِي أَعْيِدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمَهُ سَكْرَانُ اللَّحِظِ مَعْرِبِدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نَعَاسًا يَغْمِدُهُ
فَيُرِي دَمَ الْمَشَاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَّقِدُهُ
كَلَّا ، لِأَذْنَبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا هُنَّ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَيْهِ تَوْرِدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحُدُهُ

إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنِّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
 بِاللَّهِ هَبِ الْمُسْتَأَقَّ كَرِّى فَلَمَلَّ خِيَالَكَ يُسْعِدُهُ
 مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنْبِي صَبَّ يَدَيْكَ وَتُبْعِدُهُ
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
 وَغَدَا يَبْقِضِي أَوْ بَعْدَ غَدِي هَلْ مِنْ نَظْرِي . . يَتَزَوَّدُهُ
 يَا أَهْلَ الشُّوقِ لَنَا شَرَقِ بِالذَّمْعِ يَفِيضُ مَوْرِدُهُ
 يَهْوَى الشُّتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبْعِدُهُ
 مَا أَحْلَى الرَّوْصَلَ وَأَعْدَبَهُ لَوْلَا الْإِيَّامُ تَسْكُدُهُ
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجْدُدُهُ
 الْحَبِّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاء الوجه^(١) :

كان لعز الدولة غلام ذكي وضيء الوجه ، ولفرط ميله إليه - جعله رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن الميهمي ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِّي يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ ، عُوْدُهُ
 نَاطُوا بِمَعْقِدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تُوُوْدُهُ
 جَمَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرِ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار الميهمي ! .

وفي « خزائن الأدب » للبندادي ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) في نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشحم . والملححة : هي البيضاء ، والصبيحة
كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .
وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوَجْهِ » .
وقال ابن عمر : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجَاوُزُ الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضْرَاءِ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .
ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يَذْهَبْنَ لِلْمَرْءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضْرَاءُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب :

كان عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد
القصائد المطولة والمقاطع ، وأتى بما أخرجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى بزهر الأرض
في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة
وسيوف مسلولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة
٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر
بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشُّموسِ الجَانِحَاتِ غَوَارِبَا »
وفيهما يقول :

أَسْبَنَ مِنْ فَوْقِ الْهُودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِضُّ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَّهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
 وَسَفَرَنَ لِي ، فَرَأَيْتُ شَخْصًا حَاضِرًا
 أَشْرَقَنَ فِي حُلَلِهِ كَأَنَّ أَدِيمَهَا
 وَغَرَبَنَ فِي كِلَلِهِ ، فَقُلْتُ لِمَ صَاحِي :
 وَمُعَرِّبِ الدَّلَالِ يَثْنِي عِطْفُهُ
 حُلُو التَّعْتَبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
 عَابَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتِهِ
 فَأَرَانِي أَخَذَ الْكَلِيمَ فَطَرَفُهُ
 ذُو مَنَظَرٍ تَعْدُو الْقُلُوبُ بِحَسَنِهِ
 لَاغْرَوْا إِنْ وَهَبَ اللَّوَاظِحَ حَظْوَةً
 أُسْبَلْنَ مِنْ ظُلْمِ الشُّعُورِ غَمِيَاهِبًا
 شُدِّهَتْ بَصِيرَتُهُ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
 شَفَقْتُ تَدْرَهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
 « يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِيَا »
 فَيُحَالُ مِنْ فَرَحِ الشَّبَابَةِ شَارِبًا
 عَنِّي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا
 وَأَزُورُ الْخَاطِئًا وَقَطَّبَ حَاجِبًا
 ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْعِدَاةُ مُغَاضِبًا
 نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مَوَاهِبًا
 مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبًا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١) :

أرجوزة للأغلب العجلي ، يقول فيها :

كريمةٌ أخوالها والعصبة
 كأنها حقةٌ مسكٍ مُذهبةٌ
 كأنها حليةٌ سيفٍ مُذهبةٌ
 ثم انثنت به فويق الرقبة
 قباء ذاتُ سريرةٍ مُعجبة
 ممكورةٌ الأعلى رداحُ الحجة
 أهوى لها شيخٌ شديدُ العصبة
 فأعلنت بصوتها : أن يا أبة

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزنة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني^(١) :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأعلمي السعدي الصقلي المعروف
بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيّا بتفاحة مخضبة من شفقتي حبه وتيميني
فقلت : ما إن رأيتُ مُشبهها فاحمرّ من خجلة فكذبني

وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني طيبٌ طبه كخراب بين
أنى الحمى وقد شاخت وباخت أدبرها بتدبير لطيف
من السقم المُلح بعسكرين يفرق بين عافيتي وبينى
فعاد لها الشبابُ بنسختين حكاة عن سنين أو حنين
فصيرها بحدقٍ نوبتين فكانت نوبةً في كلِّ يومٍ

وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبٍ وجدٍ وحاملاً ردّ كلِّ نفسٍ
أقسمُ لو قد طببت دهرًا فضيلة الطبِّ والسدادِ
همّت عن الجسم بالعمادِ لعاد كوناً بلا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بيضٍ سلّانٍ باللحظ بيضا مرهفاتٍ جفونهن جفونُ
وخسودٍ للدمع فيها خسودٌ وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَمَعُ الشَّبَابِ يُرَى ذَرٌّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ العِدَارِ
إِذْ بَدَاتِ الحَارِ أُمْتَعُ لَيْلِي وَبَدَاتِ الخِمَارِ أَلْهُو نَهَارِي
وَالغَوَانِي لَا عَنَ وَصَالِي غَوَانِي والجواري إلى جواري جَوَارِي

تشبيب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خُلُقها أُنفةٌ وعزّةٌ وصرامة ، حتى أن أباهريرة رآها يوماً فسبّح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن أبي ربيعة

قال يشبّب بعائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الظاعنين
لم يرُ عني إلا الفتاة وإلا دمعها في الرداء سحّاً سخيناً
عجّلت حمةُ الفراق عكينا برحيلٍ ولم تخف أن تيناً
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووداً لو تواتينَ عاشقاً محزوناً
قاده الطرفُ يوم مرّ إلى الحيد نـ جهاراً ولم يخف أن يميناً
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضيء لناظريناً
فاذا ظنية تراعى نماجاً ومهياً بهيج الناظر عيناً
قلتُ : من أنتم ؟ فصدّت وقالت أميدٌ سؤالك العالميناً ؟
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تبلتِ الفؤاد أن تصدقيناً
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأبيني لنا ولا تكذبيناً

نحن من ساكني العراقِ وكُنَّا قبلها قاطنينَ مكةَ حيناً
قد صدقناكِ أن سألتِ فنُ أذِ عسى أن يجزَّ شأنُ شووناً
قد نرى أننا عرفناكِ بالنَّهِّ تِ نظنَّ وما قتلنا يقيناً
بسوادِ الثنيتينِ ونغمِ قد نراهُ لناظرٍ مُستبيناً
فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط .

وأنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مرُّ لي بأعوان ، فصير إليها قوماً يكونون معها ، فحججت ومعهما ستون بنتاً عليها الهوداج والرحائل .

صُبْحُ المَشِيبِ يَدُلُّ على ليلِ الشَّبَابِ^(١) :

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قالوا نهاه الأربعونَ عن الصِّبَا وأخو المَشِيبِ يجوزُ ثمةً يَهْتَدِي
كم حار في ليلِ الشَّبَابِ ، فدَلَّهُ صُبْحُ المَشِيبِ على الطريقِ الأَقْصَدِ
وإذا عددت سِنِيَّ سَمِّ نَقْصُهَا ومن المَعْمُومِ فتلك ساعة مولدي

الشاعر الغزال^(٢) :

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم لمرواني ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني يخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسرَّ به سروراً عظيماً ، ونال من لدنه دُداً وتكريمًا ، حتى إنه مال إليه ، وقرَّبهُ لديه ، فطلب منه منادته ، إلا أنه امتنع لما أدرك جلية الأمر ممتذراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فالكبت النزال لا يميل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استرعاها منها، وجعل الملك يحدّثه وهو لاهٍ عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأنتي قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فأني لم أرقط مثلها. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابها بالشاعر النزال. كما سرّت الملكة بوصفه لها.

غزالٌ قد غزا قلبي^(١):

في كتاب «الطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن النزال، وشهرة اسمه «غزالٌ» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيب ولكنّه كان مجتمع الأشدّ، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترّني قطّ مهراً ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كَلَّفَتْ يَاقَلْبِي هَوَى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْغَمُ الْأَعْلَبُ
إِنِّي تَمَلَّقْتُ مَجُوسِيَّةً	تَأْتِي لَشَمْسِ الْحُسْنِ أَنْ تَعْرُبَا
أَفْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُدْفِي إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَدَّهَبَا
يَا تَوَدُّ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَرْزَارِهَا السُّكُوبَا
يَابَأَبِي الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَحْلَى عَلَيَّ قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَهُ لَمْ أَعُدُّ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (قَوْدِيَه) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعَبَا

(١) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥٠.

قلت لها : ما باله... إِنَّهُ قد يُنتجُ المهرُ كذا أمهبا
 فاستضحكتُ عَجَباً يَقُولِي لَهَا وإنما قُلْتُ لِكَيْ تُعَجَّبَا
 قال : ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب ففدا عليها،
 وقد اختضبَ وقال :

بَكَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
 مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَّتْ بِضَابِ
 تَخْفَى قَلِيلاً ثُمَّ يُقَشِّعُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِنَهَابِ
 لَا تُنْكِرِي وَضَحَ المَشْيِبِ فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الأَفْهَامِ وَالألْبَابِ
 فَلَدَى مَا تَهْوِينِ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ

غرام أم جنون :

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
 محبوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
 إلا لمن لس ودادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير،
 سحرًا حللاً . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّقْمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوْهَمُ مَعْنَى فِي خَفِيِّ سُؤَالِ
 وَلَوْ سَاحَتْ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الكَرَى لِأَشْكَلَ مِنْ طَيْفِ الخِيَالِ خِيَالِي
 سَمِعْتُ بُرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيْزَةٌ وَجُدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
 وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ . وَصَالِ
 وَهَوْنٌ مَا لَقِيَ مِنَ الوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودٌ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
 فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنِ الدُّنْيَا مَطِيَّ رِحَالِي

ثمّ مالبت أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فقال :

ما بالُ قلبك يستبين أبه غرامُ أم جنون
برح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشكّ اليقين
حتى مشى بين الجوا نوح والضروع هوى ذفين
وإلى متى قلبُ المتسليم في يدِ البلوى رهين
شخصت له فيك العيون وقسمت فيك الظنون
وسلّبت ألبابَ الورى بلواظفٍ فيها فتون
وقوامُ أغصان الرياض وأين تدرُكك الغُصون
الحسنُ في الأغصان فنٌّ وهوَ في هذا فنون
من أين للأغصانِ ذا لك الحسنُ والسحرُ المبين ؟
أم ذلك الوردُ الجنيّ بجمده والياسمين ؟

سلعوس وسلعسة^(١) :

قال إبراهيم بن المهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل
العبث : ياسلعوس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلعسه
فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن
هنا لك شكّ أن ذلك وسوسه

قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :

كذا - والله - يا أمير المؤمنين قدّرت ، وإيّاها أردت !

(١) في إرشاد الأديب ج ١ ص ١٦٣ .

عائكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدثني محمد ابن عمّار - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصلاح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حجّت عائكة بنت معاوية بن أبي سفيان - فنزلت من مكة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ واقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواربها فرفمن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها شُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دهبيل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشتمته ، فقال أبو دهبيل :

إني دعاني الحينُ	فافتادني	حتى رأيتُ الظبيَ	بالبابِ
ياحسنةُ إذ سبني	مديرًا	مستترًا	عني بجلبابِ
سبحان من أوقعها	حسرةً	صبتُ على القلبِ	بأوصابِ
يدودُ عنها إن	تطلبتها	أب لها ليسَ	يوهابِ
أحلها قصرًا	منيعَ الذرى	يحمي	بأبوابِ وحجابِ

وقال أيضاً :

طالَ كَيْلي وَبِتْ كالمَحزُونِ	وَمَلَّتْ النَّوَاءُ فِي جِيْرُونِ
وَأطَلْتُ المَقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى	ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشِيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلُ	كَبَسَاءِ القَرِينِ إِثْرَ القَرِينِ
وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُوْلُؤَةٍ النِّسْوَانِ	مِيْزَتِ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا	فِي سَنَاءِ مِنَ المَكَارِمِ دُونِ
نَمَّ خَاصَرَتْهَا إِلَى القُبَّةِ الخَضُ	مِرَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
 عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
 وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلْتُ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لَيْسَاتِي فِي فُنُونِ
 لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوِي أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجَفُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بسام^(١): كان المعتصم بن صمادح، يوماً مع ندمائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللب الطرب من الدك. وحضر أيضاً هُناك لاعبٌ مصريٌّ ساحرٌ، فكان لمبه حسفاً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد :

كَذَا فَلْتُلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاضِرًا
 وَسَيْبُكَ سَيْبُ نَدَى مُنَدِقِ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
 وَإِنْ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقِي مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
 صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظْنَا مُحْيِيًا الْعَلَا سَاوِرًا
 وَأَطْلَمْتَ فِيهِ نَجْمَ الْكُؤُوسِ فَمَا زَالَ كَوَكْبُهَا زَاهِرًا
 وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
 وَنَنَاءَهُ ثَابٍ لِالْعَابِيهِ دَقَائِقُ تَنَى الْحِجَا حَائِرًا
 وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَهَتْ الْخَاطِرًا
 إِذَا وَرَدَ الْلَحْظُ أُنْهَاءَهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
 وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَمَا انْفَكَّ عَارِضُهَا مَاطِرًا
 وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْمَغْرِيَاتِ فَيَجْعَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان :

أهدى المنذرُ الأكبر^(١) إلى أنوشروانَ ، جاريةً كان أصحابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النَسائيِّ ، وكتب إلى أنوشروانَ يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، تقيّةَ اللونِ والثَّغرِ ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءَ كحلّاءَ ، دَعَجَاءَ عَيْنَاءَ ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أُسَيْلَةَ الخَدِّ ، شَهِيَةَ المَقْبَلِ ، جَثَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى القُرْطِ ، عَمِيظَةَ عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كاعبَ التَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مِشَاشِ المِنكَبِ والعَضُدِ ، حَسَنَةَ المِعصَمِ ، لَطِيفَةَ الكَفِّ ، سَبِيظَةَ البَنَانِ ، ضَامِرَةَ البَطْنِ ، خَمِيصَةَ الخِصْرِ ، غَرَّتِي الوِشَاحِ ، رَدَاحَ الإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ الكَفَلِ ، لِفَاءَ الفَخْدَيْنِ ، رِيَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ المَا كَمْتَيْنِ ، مُفَعَّمَةَ السَّاقِ ، مَشْبَعَةَ الخُلُخَالِ ، لَطِيفَةَ الكَعْبِ والقَدَمِ ، قُطُوفَ المَشْيِ ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصَّةَ المَتَجَرِّدِ . وهى سَمُوعَ السَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءٍ وَلَا سَفْمَاءَ ، دَقِيقَةَ الأنْفِ ، عَزِيزَةَ النَفْسِ ، لَمْ تُغَدِّ فِي بؤْسٍ ، رَزِينَةَ حَلِيمَةٍ ، رَكِيئَةَ ، كَرِيمَةَ الخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَيْهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَعْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتِهَا الأُمُورُ فِي الأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلِهَا عَمَلُ أَهْلِ الحَاجَةِ ، صِنَاعَ الكَفَّيْنِ ، رَهْوَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِنَةَ ، تَزِينُ الوَلِيِّ ، وَتَشِينُ العَدُوِّ .

إِنْ أَرَدْتَهَا اشْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا انْتَهَتْ .

فارس عربيّ جميل :

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني دُمَلْبَةَ ، فذهبتُ إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في العزيز المحلى ص ٧٦٢ .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ .

فمرت بفناء خيمة ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثلهُ قَطَّ حُسْنًا وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما السَّبْحُ المنظومُ ، تحت ذلك وجهٌ كالقمر ليلة تَمَّة . وعنده امرأةٌ أَحْسَنُ منه وأجملُ ، وأكثرُ ما أسمع من كلامها (يا بُنَيَّ) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعبٌ عذراء ، ولا يَرُدُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَّنتُ ما رأيتُ منهما ، فدنوت من الخباء ، فَبَصُرَتِ المرأةُ بى . ثمَّ قالت لى : يا حَضْرِي ، ما حاجتُك ؟ . فقلت : لاجحةٌ لى إلا الذى استَحَسَّنتُ مِنْكَ وَمِنْ هذا الغلامِ . فقالت : أتحبُّ أن أُسمِعَكَ شيئًا من خبره ، وهو خيرُك من نظره ؟ . فقلت لها : ها تى لله دَرُّ أَيْبِكَ . فقالت لى : إني حملتهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فكننا فى عَيْشِ ضَنْكِ كَدِيرٍ ، ورزقٍ نَزِيرٍ حَقِيرٍ ، حتى إذا شاء اللهُ أن أضعه ، فوضعتُه - بحمدِ اللهِ خَلْقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْبِكَ ما هُوَ إلا أن وضعتُه حتى منَّ اللهُ عَلَيْنَا ، وأَجْرَلِ وَسَهَلِ وتفضل ، بِيَمْنٍ وَجِهَةٍ وسعادةٍ طَلَعَتْهُ . فسمَّيْتُهُ (مَالِكًا) ثمَّ أرضعتهُ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ . فلما استتمَّ الرِّضَاعُ ، نقلتهُ من المهدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فنشأ بَيْنَنَا كأنه سُبُلُ أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وحرَّ الصَّيْفِ . فلما مرَّ عليه خَمْسَةُ أعوامٍ ، دفعتهُ إلى مُوَدَّبٍ يُعَلِّمُهُ القُرْآنَ ، فقرأه وتلاه ، ونظَّم الشُّعْرَ ورواه ، حتى أتمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فأرَّكَبتهُ عِتاقَ الخَيْلِ فتَهَرَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ فتَهَرَّسَ ، ومشى بَيْنَ بُيُوتِ الحَيِّ ، وأصغى إلى صَوْتِ الصَّارِخِ ، وأنا خائفةٌ عليه وَجِلَّةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الألسِنَةِ أن تشينه ، ومن الألفاظِ أن تعينه ، حتى شاء اللهُ أن تُصَيِّبَنَا سِنُونَ أَجْدَبَتْ بلادَنَا ، وكاد يهلكُ كِبَارُنَا وأطفالُنَا ، نَخْرَجُنَا إلى مناهلٍ غيرِ مناهلِنَا ، ونزَلْنَا فى غيرِ منازلِنَا ، فنَجَّحَ أصحابُنَا لطلبِ نَارِهِمْ ، وَخَلَّفَهُ عن الرُّكُوبِ معهم وَجَعَّ أَصَابَهُ ، فلا وأَيْبِكَ ما علمْنَا حتى دَهَمْتُنَا الخَيْلُ مِنَ العَدُوِّ ، ولم يتولَّنَا عَقْلٌ ، ولا هَدُونًا . فا كانَ إِلا هَنِيئَةٌ حتى حازوا على الأموالِ ، وانهمزَ الرِّجَالُ ، وهُوَ فى البَيْتِ يسألُنِي عن الصَّوْتِ ، وأنا أَكْتُمُهُ خِيفَةً عَلَيْهِ . حتى عَلَّتِ الأصواتُ ، وبرزتِ الخَبَّاتُ . فلما سمعَ ذلكُ نَارَ كَابِثُورِ اللَّيْثِ النُّضْبِ ، وأسرجَ فرسه ، ثمَّ أفرغَ عليه لَأْمَةً حَرِيْبَةً ، وتقلَّدَ سَيْفَهُ ، واعتقلَ رُمَحَهُ . ثمَّ لحقَ العَدُوَّ ،

فطعنَ أدنى فارسٍ منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأوهه ولداً لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعنا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرَّ الباقون !

غنيه : شحاذه :

لو كان بالصبرِ الجميل ملاًذهُ
مازال جيشُ الحُبِّ يفتزو قلبهُ
لم يبقَ فيه من الغرامِ بقيةٌ
من كان يرغبُ في السلامةِ فليكنْ
لا تخدعناك بالفُتورِ فإنه
يا أيُّها الرِّشأُ الذي من طرفه
دُرٌّ يابحُ بفيك : من نظامهُ ؟
وقناةُ ذلك القَدِّ : كيف تقومتْ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإنني
هاروتُ يعجزُ من مواقعِ سحرِهِ
تاللهِ ما علقتُ محاسنك امرأً
أغربتُ حُبَّكَ بالقلوبِ فأذعنتْ
مالي أتيتُ الحظَّ من أبوابِهِ
إياك من طمعِ المنى ، فعززه

ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورذادهُ
حتى وهى وتقطعتْ أفلاذهُ
إلا رسيسٌ محتويه جدادهُ
أبدًا من الحدقِ المراضِ عيادهُ
نظرٌ يضربُ بقلبك استلذادهُ
سهمٌ إلى حَبِّ القلوبِ نفاذهُ
خمرٌ يجولُ عليه : من نبادهُ
وسنانُ ذلك اللَّحظِ : ما فولادهُ ؟
أخشى بأنَّ يجفُو عليه لآذهُ
وهو الإمام ، فمن ترى أستاذهُ
إلا وعزَّ على الورى استنقادهُ
طوعاً وقد أودى بها استحوادهُ
جهدى ، فدام تقوره ولوادهُ
كذليله ، وغنيه : شحاذهُ

العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر^(١) ابن الصّدي يصف العيون :

هي التي توقع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمِّ والنَّصب ، وترميه بدواحي
المهوان ودواحي الهوى ، وتسلمه إلى مكابدة الغرام ومكابدة الجوى ، لوعدت بطول السهر
وكثرة الدُموع وبفيض الشئون وعدم المهجوع ، وبسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السحر ، وبعدم الإغفاء وطول السهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طامها ، وعدم منال المنام وإن تما :

لأعذب العينَ غيرَ مُفكِّرٍ فيما جرتُ بالدمعِ أو سالتُ دما
ولأهجرنَّ من الرقادِ لذيدهُ حتى يعودَ على الجفونِ محرماً
هي أوقعتني في جائلٍ فتنيةٍ لو لم تكنَ نظرتُ لكنتُ مسلماً
سفكت دمي فلا سفحن دموعها وهي التي بدأت وكانت أظلماً

ولعلَّ موجب هذه الواعظة ، والألماظ التي هي بالتحذير لافظة أنى خرجت في بعض الأيام
متفرجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفي في الرياض وسائحاً ، وصحبي صديق لي في المحبة صادق ،
ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملك كلَّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلَّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبُّ لخدمتي لا يعمل ولا يسأم ، ويتعب في مرزاتي لا يكل ولا يندم ، ويجتهد في موافقتي
لا يمن ولا ينم ، ويجسِّن مرافقتي لا يدم ولا يندم ، قد أخذته جهينة أخباري ، وكنزاً
لخزائن أسراري ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندي كما قيل :

بروحِي مَنْ لا أستطيعُ فراقه ومن هو أوفى من أخي وشقيقي
إذا غاب عني لم أزل متلماً أدورُ بعيني نحو كلِّ طريقٍ

(١) في لوعة الشاكى ودمعة الباكي .

معانى لفظ العين :

للعلامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائية في معانى لفظ العين ،
وهي في فنّها غريبةٌ - قد احتوت على معانٍ في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نُقلت من خطّ الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لنوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنّي الفلّا وكيلَ عَيْنٍ ويا بدرَ الدُّجَى وضياءَ عين
(الشمس)

حُميتَ من المكارِهِ ياغزلاً حوى كلَّ الكالِ بدونَ عين
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منى يا حبيبي وحقُّ المصطفى الجُزى لِعَيْنِ
(الماء)

دعانا للهداية نيم طه رسولٌ قد أبانَ لِطُرُقِ عَيْنِ
(حقيقة القبلة)

أمينٌ سيّدٌ ما فيه شكُّ به تُهدى الأنام بكلِّ عَيْنِ
(الناحية)

له ذاتٌ خلتُ من كلِّ سوءٍ وقلبٌ قد خلا من شينِ عَيْنِ
(الرياء)

سما فوقَ السماءِ ونالَ قُرْباً وخطبَ رَبّهَ وَحَظَى بِعَيْنِ
(النظر)

جميلُ النفسِ والأفعالِ قطعاً صفيُّ خالصٍ من قُبْحِ عَيْنِ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر .

- أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ وعودَ أُمَّةٍ من شرِّ عَيْنِ
(إصابة العين)
- عَلَا رَبَّأً فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ نَخِيارَ عَيْنِ
(الجماعة)
- يُقيمُ شريعةَ غرَاءِ فينَا بِهَا... كم قد هَدَى من كلِّ عَيْنِ
(الإنسان)
- رؤوفٌ بِالعبَادِ رَحِيمٌ قَلْبِ عَظِيمُ القَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنِ
(الكبير)
- كَرِيمٌ مُنتَقَى ، بِمَجْرُ العَطَايَا فَكَمُ منَحِ الأَنَامِ جَزِيلَ عَيْنِ
(المال)
- عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَد ظَلَلْتَهُ لَدَى حَرِّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنِ
(السحاب)
- خَلِيلُ اللَّهِ أَحْمَدُ ذُو كَالٍ مَجِيدُ النَّاسِ مِنْ لِحْظِ بَعَيْنِ
(المطر)
- رَحِيمٌ بِالعبَادِ سَرِيعٌ بَأْسِ عَلَى قَوْمٍ لثَامٍ مِثْلَ عَيْنِ
(الطائر)
- كَبِيرُ القَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا مُغِيثُ النَّاسِ مِنْ حَرِّ لَمَعَيْنِ
(شعاع الشمس)
- رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَانَسِلُ عَيْنِ
(الخيار)
- فَكَمْ صرقتَ عَنَا مِنْ كَرُوبِ بَدُنِيَا نَمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنِ
(الجد واليقين)
- وَخَلَقْتَ مَبْدَأُ الأَشْيَاءِ حَقًّا حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنِ
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء. وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منغية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر الميون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجهان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في ماءها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تباكت
وحاكت في فعالها المواضي فيالك مقلة غزات وحاكت

و(الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقٌ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ القَوْمُ بهِ وحَدَقُوا بهِ - لنتان - أي : أطافوا بهِ من جميعِ نواحيه .
وقال الشريفُ الرضيُّ :

ياقلبُ مالَكَ لا تَفِيقُ وقدْ رأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ العُشَاقِ ؟
فتكَّتْ بكِ الحدَقُ المرَّاضُ ولم تَزَلْ تُشجِي القلوبَ جَنَائِيهِ الأَحْدَاقِ

و (الناظرُ) : السَّوادُ الأصغرُ الذي يُبَصِّرُ فيه الرائي شخصه ، والمرَبُّ تقول : هو
مثالها ، وإنسانها ، ودوابها ، وناظرها ، وبصرها ، وضيئها ، وغيرها ولعبتها ، وبؤبؤها ،
وتمثالها ، وسوادها ، وحبها ، ومذلكها .

قال ابن مطرفٍ : وهذه الأسماءُ كلها لموضعِ البصرِ الذي في حاسةِ البصرِ ، والجمعُ : نواظرُ
وليسَ الذي يَرَى الرائي صورةَ نفسه في ذلك الماءِ لصفائه ، ويستدلُّ على صحَّةِ الحاسَّةِ بما
تخيَّل فيه .

و (الناظران) - أيضاً : عِرْقَانِ في العَيْنِ يسقيانِ الأنفَ ، يقالُ إنَّهُ لمرتفعُ النَّاظِرَيْنِ ،
ويقالُ للذي استحجى مِنْ أمرٍ : خَفَضَ له ناظريه ، والنَّاظرُ يجمعُ على : نواظر . قال شارح
كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لعيني ونَظَرْتُ : انتظرتُ وانتظرتُ .

و (نظرتُ) بمعنى : رحمتُ وتفكرتُ . وأنظرتُ الرَّجُلَ : أخَرْتُهُ ، وأنظرتُهُ : جعلتُهُ
ينتظرنِي ، وقولُهُ تعالى : (انظرونا) أي : أمهلونا : قال الشيخُ برهان الدين القيراطي :

يا قاتلي بنواظرِ أجفانها بسيفِها الأمثالُ فينا تُضربُ
قُلْ للغزالِ أو الغزالةِ إذ رنتُ أو لاح يهربُ ذا ، وتلكَ تغيَّبُ

و (الحماليقُ) : هي بواطنُ الأجنانِ ، واحدها حلاقٌ - قال ابن مطرفٍ : هي التي تراها -
إذ قلبتُ للسُّكُحلِ - محمرةً . وقال الزَّبيديُّ : الحماليقُ : نواحي العينِ ، ويقالُ لمُوخري العينينِ
مما يلي الصدغَيْنِ : الحقيمانِ ، الواحدُ حقيمٌ . والأشْفارُ هي حُرُوفُ الأجنانِ التي يذبتُ عليها
الشعرُ ، والواحدُ : شَفْرٌ ، ومنه شفيرُ الوادي ، وشفيرُ كلِّ شيءٍ حرْفُهُ .

قال الشيخُ جمال الدين بن نباتة :

إذا كانَ شَفْرُ العَيْنِ فوقَ محلِّها فَمِندي أنا الأشْفارُ خيرٌ مِنَ العَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشعرُ النابتُ عليها ، وأحدها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهانُ الدين :

أهدابٌ لَحِظْتَكَ للورى شركَ فَنَ أَوْقَتَهُ فَيَهِنُ لا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النجاةُ وَرُمِحُ قَدَّكَ مُشَرَّعٌ؟ كَيْفَ الخِلاصُ وَسَيْفُ لَحِظِكَ مُصَلَّتُ؟

و(المحجرُ) : مادار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجر ، ويقالُ : مَحَجَّرَ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجرُ محجراً لأنه مفعول من الحَجِرِ وهو النَّع ، فكأنه مانعٌ عن العينِ من جميع جهاتها ، ومعهُ الحجرةُ المحيطةُ بالجدرِ ، والجمعُ : الحُجُرَات .

قال الأمير سيف الدين المشدِّ وأجاد :

إِنَّ العيونَ لكِ الحصونَ : فُهَدِّبِهَا شُرُفَاتِهَا ، وَجُفُونِهَا الأَسْوَارُ
وكذا محاجرُها : الخنادقُ حَوْلَها والحافظونَ بها هُمُ الأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هو طرفُ العينِ مما يلي الأنفَ ، وهو مخرَجُ الدمعِ من العينِ ، ولكلٌّ عينٌ مُوقانٌ ، وفي الموقِ وفي جمعه لغاتٌ كثيرةٌ يقالُ : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه أماق ، وموقٌ - غير مهموزٍ ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقيةُ - لغةٌ في المائقِ أيضاً ، والجمعُ مُقَى . والمائقُ : مقدمٌ لها . وقيلَ : الموقُ مؤخرُ العينِ ، ومَاقٍ يُجمعُ على مَواقٍ مثلُ قاضٍ وقَواضٍ . وفي الحديثِ : « كانَ يَكْتَحِلُ من قَبْلِ مَوقِهِ مرَّةً ومن قَبْلِ مَاقِهِ أُخرى » .

قال المتنبي يمدحُ كافور الأَخشيديَّ :

قَواصِدُ كافورٍ تَوارِكُ غيرَه وَمَن وَرَدَ البَحرَ اسْتَقَلَّ السَواقِيَا
فجاءتُ به إنسانَ عَينِ زَمانِه وَخَلَّتْ بيَاضاً خَلْفَها و (أماقيا)

و (الألحاظُ) : جمعُ لَحِظٍ ، وهو مؤخرُ العينِ الذي يلي الصدغَ وجمُّها لحاظٌ ، ولواحظُ . فأما اللحظةُ فهي النَّظرةُ وجمعها : لحظاتٌ في القليل ، واللحظُ في الكثير ، ويجوزُ أن يجعلَ موضعَ اللحظةِ . يقالُ : لحظَ العينَ - مثلَ رأى العينِ ويقالُ : لحظَ السماءَ بطرفه يلحظُ لِحْظاً فهو لاحظٌ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرةً قد جأت لي حُسنَ طَاعَتِهِ حَتَّى انقَضَتْ وأدامتُنَا على وَجَلِـ
عَاتِبْتُ إنسانَ عيني في تَسَرُّعِهِ فَقَالَ لي : خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلِـ

و(الطرف): هو مآل بأحد السوادين: السواد الأعظم، والسواد الأصغر. قال ابن مطرف:
« طرف العين تحرك أشفارها » ويقال: طرفة عين، والعين المطروفة منه مأخوذ، وهو
أن يُصيب سوادها شيء فيتأذى صاحبها به، وربما أبطأها. وهي « الطرفة » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كم دماء مَطْلُوءَةٍ في هَوَاهُ وبها وَرَدُ خَدَّهِ مَطْلُولُ
وحديثٍ من السقام صحيح قد رَوَاهُ عن طَرْفِهِ مَكْحُولُ
و (القبل) هو مِيلُ الحدقة في النَّظَرِ إلى الأنف . وأنشد الثعالبي وقد استحسنه
في « فقه اللغة » له - قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :

أشهى في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا

وقال جرير :

وما زالت القتلى تمجّ دماها بدجلة حتى ماء دجلة (أشكل)
وقول علاء الدين البديوي :

أنا جدّ أنصار النبي لأنبي يا أزرق المئين عبد (الأشهل)
وأنشدني المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهرى :

رنت رمت فأصابت قلبي ، وأذكت لهيبه
فهو المصاب بعين (شهلاء) وهى المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأغيد كل شيء فيه يعجبي كأنما هو مخلوق على شرطي
أجفانه السود ما تُخطى إذا رشقت سهامها ، وسهام الليل ما تُخطى

وقال علاء الدين الوداعي :

رمتني سودُ عينيهِ فاصمتني ، ولم تبطي
وما في ذاك من يدعٍ سهامُ الليل ما تخطي

وقال شهاب الدين الزعفريني :

مليكٌ على العشاق ، سكرانٌ طرفه
شكوتٌ إليه أسرَ قلبي في الهوى
فلا عجبٌ للحظِ منه يُعزِّدُ
فوقعَ لي : سحرُ الجفونِ يخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحيي الوري
من سحرِ عينيكِ الهاء تعلمتُ
وبسحرِ عينيه النواعسِ تقبلُ
وكذلك النزلانُ منها تنزلُ

وقال ابن عباد :

ونظرن من خللِ الشُّثورِ بأعينِ
مرضى يُخالطها السقامُ صحاح
وله أيضاً :

وسنانٌ قد خدع النعاسُ جفونه
مذ غصَّ طرفاً بالحياءِ فإنني
فحكى بمقلته ذبول الترجيس
منه استحيت بأن أقبل مؤنسى

وقال الغزوي :

كأئما سوادُ عينِ مُنيتي
لا تُنكرُوا مقاتلي تجاهلاً
كمنبرٍ يا أنفسا لوأمه
مع علمكم بأنها لوأمه

وقال الشهاب بن القطان :

شاقني (مارسُ) فولٍ
وابغى التعريضَ ، قلنا :
زهرة حاكى عيونك
لعن الله قرونك

آفة النظر وفائتته :

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذى لا كآه أنت قادر
ولأن العباس الصيبي :

قم فاسقنى بين خفق الغاي والعود
كأساً إذا أبصرت في القوم محثماً
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشرى فنأى
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتنى لتروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأثها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت المدا
فبالله نبلغ ما نرتجى
وله أيضاً :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطالع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادني
نقدت لواحظه إلى بأسهم
ظبي وعهدى بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ المداد وما تعمّد صبّه فتورّد الخد البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيد به في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى ما فوقه أدباً ولينظرن إلى من دونه مآلا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رفق وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سلمت منها بقيّتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظري فأنتم في القلب يا غاية التمتي
والظنّ أن لا تخون عهدي لا خيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبوسفيان^(١) :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هنداً بنت عُثْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر ينغني به . فلما فارقت زوجها الناكه بن المنيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوجد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبوسفيان ، وعلم منه أنه تزوج هنداً .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جالاً وشعراً وسخاءً ، وقد عشق هنداً وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبوسفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك :

الآن إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حرمي
وأصبحت كالمقوم جفن سلاحه يقبُّ بالكفّين قوساً وأسهماً

حكمة التعدد في الإسلام^(٢) :

إنه لعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تتبنا القرآن العظيم لم نجده يذكر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إلا ومعهم السلّمات ، ولا الصّائمين إلا ومعهم الصّائمات . قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صٰلِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّٰدِقِينَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالصّٰبِرِينَ وَالصّٰبِرَاتِ وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّٰمِينَ وَالصّٰمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمناً فهو زوجها في الجنة ، وإن لم يكن زوجها مؤمناً زوجها الله من الشهداء . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلاً عن اتصافه بالفضل ، أن يضيع عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟ .

وهنا تمرّض مستشرق إنكازرى في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربّما يمنعنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ، وأضرّ . . هو أخذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصناعات الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علوه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولنيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلًا عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشريبير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولعمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في أنّ واحدٍ .

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدسقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّها عن القيام بحقوق الزوج، جاز له أن يتزوج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنّها الضرورية » .

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لمّا ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعداء المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك .

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما ينشونه من الفساد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك .

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُحِلُّ بشرف الإنسانية .

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزوج منها خلاف ما كان يعهد، على أنه ليس له ذلك من أول الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجِدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضربها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهن ماوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِيسَآكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
 وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احموا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي ، فإذا طُلب ما عنده وُجدَ رجلاً » .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تُطعمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقبَّح ، ولا تهجر ، إلا في البيت » . ومعنى لا تُقبَّح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبَّحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلا أن يباينن حقوقهن على أزواجهن ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
 وليس فيما يقبل العقلُ النزهة عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبعة المرجان^(١) » أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأني قد تزوجت فظلت تكاتم النيط سراً
 ثم قالت لأختها - ، ولأخرى جزعاً : ليته تزوجَ عشرًا
 وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسرى سترًا
 مالقلي كأنه ليس مني وعظاى أخال فيهن قترًا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرفَ بحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها^(٢) :

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجميل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برنسه ولا عموده . إن رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربّعة ، وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولى : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقمشعت منه كل شعرة في جسدك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنه نوى تزوّجها .

(٢) في الروض الأنف .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ .

وروى أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله .
فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكبها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها .
وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم
بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بئينة بنت الضحاك .
وقد أجازته مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .
وفي مسند البزار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي
لا تشعر » .

وفي تراجم البخارى في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة
والسلام - قال لعائشة - رضى الله عنها : أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من
حرير ، فكشف عن وجهك ، فقال لى : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله
يُمضيه ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ،
فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن
الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فن هاهنا تطرق الشك
ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها
من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى :
« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بنير شك الإمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية
هى بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست
وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء^(١):

وجّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عتبة بن فزّوان والياً على البصرة، وقال له: يا عتبة، إنى قد استعملتك على أرض الهند، وهى حومةٌ من حوماتِ العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، ويُعينك عليها. فإذا قدّم عليك العدو، فاستشره، وادعُ إلى الله، فن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية، وإلا فالسيف، واتقِ الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبيرٍ مما يُفسدُ عليك إمرتك، وقد صحبت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فعزّزت به بعد الذلّة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرتَ أميراً مسلطاً، ومليكاً مطاعاً، تقولُ فيسمعُ منك، وتأمُرُ فيطاعُ أمرُك، فيألفها من نعمة؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطةً تصيرُ بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسى من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رُفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا تُرد الدنيا. واتقِ مصارعَ الظالمين. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فسار عتبةٌ ومن معه، وأقام بالبصرة، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس، فاقتتل الفريقان.

وقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم، فاتخذن من حُرهنّ رايات، وسرن إلى المسلمين؛ فلما رأى المشركون الرايات، ظنوا أن مدداً للمسلمين قد أقبل، فانهزموا، وظفر بهم المسلمون!

(١) فى «الكامل» لابن الأثير.

كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقیل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التنظية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنعش ليكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النعش بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص والسراويل . ومعاوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافلته بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كإحرام كإحرام المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبدن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الرجل كبان سداكت إحدانا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن أثر الإنصافَ وسلكَ سبيلَ العلمِ والعدلِ تَبَيَّنَ لمراجيح المذاهب من مرجوحها،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها^(١) :

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبهه بها النساء لبياضها ، والصُّفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة، والنعام تخفيها بريش ، ولا تُبدى للشمس والريح لثلاثا تنكير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : الممازحة ، والمنازلة - تقول : غالزنى المرأة : إذا تماجت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صدت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستماحة . كالدُّمى والصُّور التي تلمب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت ا :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عمِّ لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبرى بالذى تريدن بمدى والذى تضمينن يا أمَّ عُقبَةَ
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلقٍ وصُحبَةٍ
أم تريدن ذا جمالي ومالي وأنا فى التراب فى سجن عُربَةٍ

(١) فى خزنة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعامه غالبا .

فقلت له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أمِّ عَقْبَةٍ
سوف أبكيك ما حيتُ بنوحٍ ومراثٍ أقولها أو بندبَةٍ
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساءِ
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر فارعى حتى لحسن الوفاءِ
إنني قد رجوت أن تحفظي العم يد فكوني إن مت عند الرجاءِ
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
رغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقلت بحبيبة لهم :

سأحفظ غساناً على بُمد داره وزعاه حتى نلتقى يوم نُحشَرُ
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي بمن مات يمدُرُ
سأبكي عليه ما حيت بدمعة تجول على الخدين تهمي قهمرُ

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابها فمعد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت
منامها فقال :

عقدت ولم ترعي لبعلك حرمةً ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي العهدَا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له بتاً ولم تنجزى الوعدَا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك يُنسى كل من سكن اللحدَا

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر
لك من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،
نفلتهن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها . فقلت امرأة منهن :

للهُ درُّكُ ماذا لقيتِ من غسانِ
فقتلتِ نفسكِ حزنًا يا خيرة النَّسوانِ

وفيت من بعد ماقد همتِ بالعصيانِ
وذو المعالي غفورٌ لسقطه الإنسانِ
إنَّ الوفاء من اللّهِ لم يزل بمكانِ

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنحيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنما أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرّة عائشة هذه - قالت لمولاة عائشة يوماً : أرى مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألقى درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تتنسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرّتها فأخبرتها ، فأسرفت عليها وتأمّنتها مقبله ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألقى درهم وقالت : وددت لو أتی أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها البض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لاتزوّج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحجّ ، فأذن لها وقال : ارفعى إلى حوأبجك كلّها ، واستظهرى فإن عائشة بنت طلحة تهبّ معك ، فاستظهرت بكلّ ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنةٍ قد اجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركّبت قد جاء فضنظها وفرّق جماعتها ، وكان هو ركّبت عائشة بنت طلحة !

(١) روضة الأعيان للراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإباحتها^(١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولاخطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يمتنون كبار الإثم والفواحش إلا اللطم . . . » والحديث الذي يقول : يارسول الله إنى لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه فقت قلبى فهو مفتوت
لا تخش أنفاسى ولا حرها فأتما خدك يا قوت

ولأبى الفضل بن أبى الوفا :

سألتها رشف ريق مستعذب الطعم حاوى
قالت : فصفه ارتجالاً فقلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة فى فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحى لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار :

جمعت بالراح شملى فالله يجمع شمك
وكم يدك لك عندي دعنى أقبل رجلك

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر:

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبلةً بخديّ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر:

سألته قبلةً الذبيها فصداً عني وقال سروالك
فقلت: لم سيدي؟ فجاوبني: عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخدّة »:

بروحى مشروط على الخدّة أسمر فقال على اللهم اشترطنا فلا تزد
وفادنا بمد التجنّب والسخط فقبلته، ألفاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله:

قال الحبيب وقد رشفت رضابه أفطرت؟ قلت: نعم رأيتك طالماً
وهلال وجهك يوجب الإفطاراً

ولآخر عفا الله عنه:

قبت مبسمه فقال تذللاً أفطرت يا هذا، فقلت له: ابتدا
عند اللقاء له ونحن صياماً الصوم مع رؤيا الهلال حراماً

وقال آخر في الجناس:

إن كنت تألف بالحبيب وقربه إن الرقيب إذا صبرت لحكمه
فاصبر على جور الرقيب وداره ثواك في مشوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلقِ والخلقِ^(١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أىّ عبادك أحبّ إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : ياربّ أىّ عبادك أحبّ إليك؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبنض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجمله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبّ أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي ملبح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره
كالشمس عند طلوعها بل أشرفُ
لولا هواك لما جفأ جفنى الكرى
ليلاً ، وبثُّ بدمع عيني أشرفُ

وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى
لاح به أثر الصبابة لا يخُ
وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضحُ

وقال له :

وجه يفوق الهلال حسناً
ويُنجلُ البدر إن تجلّى
يقول في الحال من رآه
أشهد أن لا ملبح إلا

(١) الجزء رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٩٨ .

وقال آخر :

أحبُّ من المردان كلَّ مهفهفٍ
فأما إذا ما الشعرُ في خدِّه بدا
رشيق الثني لم يسر في خدِّه الشعرُ
فلا خير في اللذات من دونها السترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
لو أرادوا جنائبي
ثمَّ لاموا من افتتنَ
حجبوا وجهك الحسنَ

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبتُ له روحى فعذبها
أدرك بقيّة نفس فيك قد بلغت
ورمتُ تخليصها منه فلم أطق
قبل الماتِ فهذا آخر الرّمق
ولا بن الخطيب في « الحسن » :

الدُّرُّ فوق جبينه يتوقّدُ
كتب الهوى بيد إليه يؤكّد
والماء في وجناه يتردّدُ
بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون ممذبي يملأه
لكنتى لم أنا عنه لأنه

ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جفون
وعيون فاتكات
قد جفوني لست أبرا
من سيوف الهند أبرا

ولآخر :

كأنّ مقلته صاد ، وحاجبه
فصرت أعبد منه في الهوى صنماً
نون وموضع تقييلاته ميم
وعابد الصنم الإنسى مخدوم

ولآخر - في العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
أين القياس لمن يصحّ قياسه
دعج تنبه إن فهمك راقد
بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظيُّه إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاقمهدوا قتيل بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدت سوافها
وإن كان جبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتهى بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بعينه الزرقاء
واعجباً أحبه

وفي أحول :

قالوا سُغَات بأحول فأجبتهم
لاتحسبوا حولانه .. لكنَّهُ
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا

يمشى بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه

ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرق حابر في جماله
وعرينه أقى أتمّ وطرّفه

وقلبي ، فقل لي ما الذى فيه أصنع
كحيل ، وخذاه من الورد أصبغ

وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذبي
إن الذى ينسى الكلام لسانه

فأجبتهم والمذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عينك حسن معذبي
عين الرشا ، قدّ القفا ، ردف النقا

مالتنى ولكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيها المشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امرئ

متيم يسأل كئيهته يهتدى
على ملىح في الهوى أم ردى

وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادن في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها

جردها للفتك من غمدها
فلحظه أقطع من حدّها

ولأبى نواس - في أحور ساحر العينين :

ويلي على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما

وساحر العينين مسحور
نختاره نحن على الحور

وفي من يبكى ! :

يا قرأ أبصرت في ماتم
لا تبك للميت ياسيدى

يندب شجوا بين أثواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن يثره طرفه
فكأنه وكأنها في كفه
أخذ المرأة بكفه فتفرجاً
شمس الصُّحى قد قارنت بدر الدُّجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يامن له وجه كبدر الدُّجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبسح القوس للمشتري ؟

وللازميري في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا
لما أراد اطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرف
على عجل ولم يمهل رويدا
فلم يخطى بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبدع في خلقه
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
مستخرج في الرمل أشكاله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردى في ذلك :

حكي القضيب والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل إلا بفيض داخل
والأنامل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صد عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبدأ بطلعته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولا بن المزين في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه قال على ما اقتتلوا هكذا
والأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمدح عشاقه ما رد يوماً منها زائراً
وله في شاعر :

لا تمدوني إذا عشقت شاعراً فهو البديع حسنه لكنه
ولآخر في الخلد :

بدأ في الخلد عارضه فأضحى وحاول أن يرى مني سأواً
ولآخر... اقتباس - في من في خده عذار :

رأيت في خده عذاراً قد كتبت الحسن في سطرأ
ولا بن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمع فاشف السقام الذي في جنن مقلته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن وكان يعرض عني حين أبصره
وقال آخر :

لما التحى ومحا الإله جماله كتب الزمان بخطه في خده
وكساه ثوب مذلة ونفاق هذا جزاء معذب العشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحي بخطي عذاره
فأصبح من بعد التَّعْمِ في ضنك
تناديهما عيناه حزناً : قفانبك

ولآخر ... اقتباس :

قتل النَّاسَ باللوايحظ حتى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً

وآخر . . مثله :

لما بدا في خده عارض
وقلت غدا عارض ممطر
بشرتُ قلبي بالسوء المقيم
نجاني منه عذاب اليم

وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السواد ضوء نهاره
كل من مات سودوا باب داره

ولابن نباتة :

وأمرد مقتنه ربه
أرسله الله لنا آية
بدله بعض الضيا بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم

وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجهي
حتى غدا وهو حير
دارت عليه الدواير

وقال آخر :

وخلصني من يدي عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده حسدسه
ولحيته كانت المكسسه

وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بماد ولا عمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء^(١) :

في محمد بن عربي :

أحمد عسك تشهد لي أني قتيل عيونك النُّجْلِ
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميك خاتم الرُّسُلِ
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلمٌ أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودّع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستأهلُ ناراً مهجّة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمدُ لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولطيب الشوق أحمد
فأنا في كل حالٍ أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تخمد
قالوا فمن شئت تحبُّ؟ فأجبتهم غصن الفقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمسّقت ظيباً فاتن اللحظ فآراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

(١) الجزء بمجموع في الشعر مخطوط رقم ٦٤٨ شعر نيمور ص ١١١ .

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي له طلعة كالبدز والنصن قدّه
مليحاً بيدر التّمّ في أفقه يذرى وناظر من بابل جاء بالسحر
وللحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبي بكر سموتُ فيا له ولا بدع إذ بالنت في مدحه إذّا
فأحمد من أولى الورى بأبي بكر ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

منّ حبيبي ووفى ولا عجبياً من أبي
وعدّاً له وحقّه بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم في الهوى إذ نظروا حين سموك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشممتين ووجهه ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى
بضيايته يزهو على القمرين فأجابني عثمان ذو النورين

لنز في عثمان :

يا أيها العارف في فنّه ومدعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم في أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى عليّ :

قال العذول منذ رأى قلبي به في شغل
بمن فتنت في الورى؟ فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة بالعلی

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا
قالوا سلوى كل حبّ
قد غدا قلبي عليلاً
قلت إلا عن علي لا

وللحجّازي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي
في هواه حقاً لقد طاب ذلي
وشرح حالي أغنى عن التمييز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللأزهري في عبد القادر :

حبّي عبد القادر الذي له
وكيف لا أريده بين الوري
بهجة حسن والوري عبيده
والله يدرى أنني أريده
لنز في عبد الله :

اسم من أهواه ياسيدي
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من العنبر حرفان
وواحد ليس له ثان
وفي عبد القوي :

عبد القويّ سباني بقده
وصرت عبداً ضعيفاً
السمرريّ في حبّ عبد القويّ
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي
ولا عجب إن بدا لطفه
فطانت أسكنته الفؤاد
فعبد اللطيف لطيف العباد
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندي
لا تختشي من ضياع
قد أنجح الله قصده
فالله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حالي به
فقلت لا تسل بحقّ الهوى
من لك في ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود

وفى إبراهيم :

عجبت لئار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً وبردأ إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمسكارم كسبةً فُتري بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة فى خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة وكيف يطيب العيش عندى والكرى
فأسأم من ليل طويل أراقبه وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه

ولعز الدين الموصلى :

قال حبي خليل غيرت ودى وتركت الفؤاد متى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقياً ما تراعى من الأنام خليلاً

وقال فى يعقوب :

يعقوب إنى يوسف قد تركتنى من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفأ
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً وكنت مليكاً صرت عبداً مكلفأ

ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً مبسمك الشافى آلأى
يوسف انبيئنا بتأويله فقال هى أضماك أحلامى

لنرفيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته إنى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا تمخبر في وصفه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ
عيسى بن مريم كان يجي من يري

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد
فلان على هواك ولا عجيب

وفيه أيضا :

أمسى يقرّ بحسنه بدر الدجى
فإذا بدا فكأتما هو يوسف

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة
فهذا سليمان رقة خده

في خضر :

مهفف طلعتة ليس بها
يجرى لنا ماء الحياة وثره

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم
وفي القلب من شعبان نيران نصفه

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفا
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة

أبدت حلاوة خصره مع ردفه
شعبان كلّ حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللفعات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قر الوصل في جنة
كم حاربتك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رماني في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فأطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبابتي
وقال استمر صبرى وكن متأسيّاً
ابن المطار في يحيى :

تكابد في هواه عليه أشيا
ويرضى أن أموت بحب يحيى
وله في هاشم :

من لحظة الفاتك بالعالم
وكسر قلبي بدا دايباً
لثقة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بعامر
يهدّد قلبي بالصدود وبالخفا

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن أضمن بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيق القند معتدل
أشكو الشدائد من وجدٍ أكابده
للحجاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج
ولا بن نباتة في عماد :

قالوا العهاد مليح
بجسسه قلت قصدي
أسبي جميع العباد
أنظر لذات العهاد
لعزّ الدين الموصل في جراحة :

لقبوه جراحة وهو ظي
صدته فامتلا فؤادي شحماً
لا بن نباتة في إلياس :

أفدى مديحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من
لنزي في إسماعيل :

اسم من قد هويت ستّ حروف
عيل صبري تمام اسم حبيبي
نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على العالمين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عابن ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى عليّ بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولماظه
رماني بسهم اللحظ قلت له اتند
وقامته كالخيزرانة تنثنى
سميكت مقتول وأنت قتلتنى

وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
أن فاق في حسنه وعمّا
بأنه اسم عليّ مستمى

وفي كمال الدين :

ديني تكمل منذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كلّها
وسجدت في أعتابكم بيجبيني
ما الفخر إلا في كمال الدين

في عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقاً حسنت حالتي
مادحه ما زال في عزّ
والذلّ قد بدلّ بالعرّ

في تاج الدّين :

بيابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي
جراهر لفظ لم ينلني تاجر
وفي التاج أبيهي ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، في محبّ الدّين :

في ملاح لك شتّى
كم ليالي مع غزال
ضعف القلب وشتا
يا محبّ الدين بتنا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

لقبوه شرف الدين يرجون السيادة
كيف يرجى منه خير وهو شرثا وزيادة

في زيتون يهجو فيه :

سموك زيتونا فما أنصفوا
لأن للزيتون زيت يضى

في بونس :

وقالوا حبيب القلب بدره وقدّه
فلو لم يكن غصنا لما كان مائلا

آخر، وأجاد:

شفت بفتان اللواظ أهيف
فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

يامن تحجب عن محبّ صادق
من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

يامن تسمى بشاهين وسيمته
قد اشتهاك بالشاهين لا لتسا

في عنبر :

مذ رأني عنبر حبيبي
أرشفني من لاه خرا

في بشير :

بشير سبا مهجتي
وقد جاد لي بالرضا

وجا كبدر منير
وللواصل وافى بشير

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل
وقد فاق ربّاً نشره كلّ مندل
أهذا شذا مسك تضيع نشره
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زياراً
وقد بت بالصباية ماسوراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجووى
وبعاد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبدا بعارض خده ريحان

في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
وصير الدمع بخدّ يسبيح
فكيف لي بالصبر عن حبه
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عدولي
لو زارني كنت أحظى
أطلت فيه مقالك
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
وربّما تبلغ المراد وكم
عساك بالوصل منه تبهج
قد جاء عند الضيق الفرغ

ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدأً وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض يبدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جندياً وأصبح موكباً تحت المصاب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مد رأيت الحبك صنمته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دماً من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فصكّم الكاس على الساق

في حريري :

حريري يبيع الحسن لكن شبيه النصن والبدر المنير
كسى جسمي السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحريري

وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حريري ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتحُ إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمشّقت حداداً بديع ملاحه له طامة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالنطريق وصلّاً بقربه أراه ستر النيط ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشائي تقوضه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسبر
والصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصبي الحلاوى أضحى
لا تعارضه في هواه بشكوى
في حوايجي :

حوايجي أتيت أسأله
في عنقي دمل به ورم
لابن الوردى، في خياط :

لما أتى والمقص في يده ...
فقال وصلًا يعموز قلت له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة
يقدّ ويفرى الثوب ثم يخيطه
ولالأزميري فيه أيضاً :

لله خياط إذا سألته
وإن شكوت غمّتي لردفه
في ذهبي :

عشقتة ذهبيّ اللون طلعتة
إن ملت طبعاً إليه ليس ذا عجب
أبهي من البدر بل أبهي من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للمعاب
ألم ترى على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدي عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدي إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى وثنره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلي ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنينة النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق الهجر من فؤادى

وللصفدي فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تخفى
شغلت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يمد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارنى وبكاس فيه لماً سقانى
لما نظرت إلى شقايق خدّه سلب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكرى :

سبتنى صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سنيات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذارٍ

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :

فتنت به سروجياً بديماً
إذا جذب النرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللازميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزلال رضابه
يروى المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في شرابي :

سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جمر لا لهيب
مواليا في صابوني :

حببت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما نفخا

وله أيضاً في طيب :

طيب يحاكي النصفن في حركاته
عجباً له يرى السقام بلطفه
أصيرٌ روحى فى هواه سبيلاً
وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله فى طحان :

لله طحان تبدى وجهه
وجناته ماء ولكن قلبه
قرأ له قر السماء رقيق
حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً فى عطار :

قلت لعطار به صبوتى
أسقيتنى كأس غرامى به
محمودة والصبر لا يستطاب
ذبت ومن فيك برانى الشراب

وفى مليح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
وجدت بجانبه ظيلاً رمانى
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس، وأجاد، فى عوام :

يا حسن عوام كغصن النقا
ويقنع العشاق منه بأن
يربهم الأرداف إن عاما
وقال آخر، وأجاد، فى فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
فهمت من الغرام له بحب
رمى فى القلب بالبحران جره
وقصدى منه أن أحظى بجره

وفى قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
فدل بحسنه تيهاً ونادى
بقباني ودمع العين سايلى
إشارات المحب لها دلايل

وللسيد محمد رضوان الرعاد - فى قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجرعنى
إن تحسن القص يمناه فقلته
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

من بايع الكتان من ربط
سرحه لكن على المشط
رج محبّ لم يزل قلبه
من طاب التسريح من حبّه
ولابن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبّة لي مخرجاً
قرأ طرز بالبدر الدّجى
لي كفتى شباني حسنه
مذ تبدى في حديد فحكي
ولابن العفيف - في كواني :

قد أظهرنا لوعتي ولبي
قالوا كواني فقلت قلبي
اسم حبيبي وما يعانى
قالوا على فقلت قدر
وقال آخر ، في مליح مكحول :

بالسحر حسبك قد أحرقت أحشائي
الشمس تغرب في عين من الماء
يا أيها الرشا الكحول ناظره
إنّ انناسك في التيار حقق أنّ
ولابن الوردى ، في مزين :

بجبين وتحتته مقاتلان
من غزال بكفه كلبتان
بأبي شادن تملك روى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبي الفضل بن أبي الوفا ، في مجبر :

حسن الشمائل شبه ظبي أحورى
فاسمح وكن بالوصل منك مجبرى
أحبت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبي كسير بالجوى
ولابن الوردى ، في مهميزى :

بالحسن أصبح أرقم وتطريزي
أكباد من لام فيه بالمهميزى
صاح هذا المهميزى عارضه
وجاد بالوصل لي يوماً رفست على
ولآخر - لبايع الفخار :

قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جرّه
بايع الفخار بدرّه
ما الذى تبنيه منى

وفي ملالي :

ملالي المراق نوى حجازا
إذا سألوا وداعاً لم يجبهم
وقال ابن عربي ، في نائف :

به العشاق وجداً قد أمالا
بلا إيه ولا نعم ولا لا
ألم تره بعد الملاحه ينتف
وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيته
أروم أن أحظى بوصله وقد
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خده
تميس في الدكان أعطافه
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

بقلب الصب نار البحر أصلاً
وبنضب إن طلبنا منه وصلأ
فتنت بحسن وراق تقور
صقيل الوجه كم ذرح لديه
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أزله برضى الغرام فؤادي
إن ملت نحو الكوكب الوقاد
أحبيت وقاداً كبدر طالع
وأنا الشهاب فلا تماند عاذل
وللصفدي ، في قطان :

قطاننا مهفف
ناديت من وجدى به
تتمله
ياليثني
أردافه
ندافه

وله في بياع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارني
لما نظرت إلى رياض خدوده
يوماً لكان بوصله يشفيني
سلب الفؤاد عذاره المرسيني

وله، في بياع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله

وله، في بياع بنفسج :

سبا بنفسجنا
لما بدا في خدّه

بحسبه قلبي الشجى
عداره البنفسجى

وله، في بياع تفاح :

لله من بياع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه

غلبنى بحسن جبينه الوضاح
هام القواد بخدّه التفاح

وله، في بياع سفرجل :

لله من سفرجلى شاقنى
حيّا بكاس الراس مع القرنفل

بنعيج طرف بابلى أكل
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله، في بياع الورد :

لله وردّ نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته

وما جرى في الثنر من شهيد
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتن تردى العقلاء وتذل الأعراء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعراء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزيّن وتتعطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمنّ على سرّ إلا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقيل له :

كيف تذهبنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنىّ . والسلاء : جمع سلاة وهي شوكة النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطمن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعد بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أي السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرًّا . . ورأى رأس امرأة على شجرة

فقال : لبت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوقها وكتب

على الباب : « لا يدخل عليّ من هذا الباب شيء من الشر » .

فقال له : « فامرأتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لمن : اسكني ، فإنما أنتن لعب ،

إذا فرغ لكن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربه ، فقال لأصحابه : كفوا

عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة

الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكن

ناحية منهن ، ففتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقتضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت

ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبس

لثلاً يمنعه الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن

صحبتهن ، ولكن لا بد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجزيهن على الألسنة .
 وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
 وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يا بنى ومشاورة النساء ، فإن
 رأيهن إلى الأفق ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبتك إياهن ،
 وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجلوس معهن فيهلكنك وتملن ، واستبق
 من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكمل من النساء
 إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
 وخاطب النبي عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهن : « إن كنن إذا جئنن دقعتن ،
 وإذا شبعنن أثرتن » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثرتن : حجلتن) .
 ومعنى (دقعتن : خضعتن ولصقتن بالدقعاء ، وهي غبرة التراب ، ويقال - فقره مدقع ،
 أى ملصق بالدقعاء . وقالوا : رماه الله بالدوقعة ، وهي الفقر والذل ، وجوع ديقوع - أى :
 شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء : « ما تركت بعدى فتنة أضرت على
 الرجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء جائل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
 ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
 وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرت شيء على الإنسان شهوته	تلك التي أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمرو الله أدخله	في أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كل بشهوته ، فايعط ، أو .. يعيد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيه	فظل من بلد يسرى إلى بلد
كأنه حجر يرى به نزق	من هاهنا لهنا ، أو من يد يدي
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمعه من جيد وردي

وما يبالي حراماً منه ذلك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أُمسى يُفرِّقها فيهم ونيته
وربما أسخط المسكين خالقه
الفرض ضيمه ، والدَّينُ أتلَّفه
وكلَّ ذلك من أجل النساء ، فلا
يسلُّنَ لبَّ ذوى العقل الرصين ، كما
ياربَّ شهوةٍ وقتٍ أورثت غصصاً
قد كان في سُئلٍ عنهن قاطبةً
لكنه عميت عن ذلك مُقلتهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وقالوا : تزوج فنعَم الفتاة
ولو أستطيع لطلقتُ نفسي
أَشقى بها دونَ ما ضرةٍ
وما تقنع العرسُ مني بشيء
فنفسي أولى بنفسى ، ودع

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنَلْ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمِنْ مِنْ ضَرَّةٍ ضَيْرَهَا
سِوَى أَنْ تُصَيِّرَنِي عَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِيرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرزايا :

أنشدني أبو عبد الله الزبيدي ، قال : أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مطيات السرور بنات عشر
فإن جاوزتهن فسر قليلاً
مقاساة النساء مع الليالي
إلى عشرين ، ثم قف المطايا
بنات الأربعين من الرزايا
إذا أولدتهن من البليات

طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عتبة » جارية المهدي ، تدلُّ على كمالِ ظرفه ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بندااد قال :

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر « عتبة » ... لأول دخوله بندااد، ولم يزل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدُلَّ على شيخ صائغ ، فجاأ إليه فقال : إنِّي قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . يعني « عتبة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتبة » فقال لها : إنَّ الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زيِّ الراهب - فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . ثمَّ قطع الزنار ، ومال على يديها فقبَّلها .

فلما فعل ذلك، رفعت البُرُوس عن وجهه، فعرفته وقالت : نَحَّوه، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغنيه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لَقَدْرِهِ . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردتُ أن أشرفَ بولائها ، فالحمد لله الذي منَّ علىَّ بحضوركم .

وجلس أبو العتاهية ، فجلسوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر ، وهو في ذلك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحدث البردُّ : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السفاح ، وجَّهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعتق، وأمرت جاريةًها (عتبة) - وكانت لها ثمَّ صحبت « الخيزران » بعدها - أن تحضر ذلك . فأبَّها لجالسة إذ جاء « أبو العتاهية » في زيِّ متنسك فقال لها :

جعلني اللهُ فداكُ ، شيخٌ ضعيفٌ لا يقوى على الخدمة . فإن رأيتَ - أعزك اللهُ - شراً
وعتق ، فملت مأجورة . فأقبلتُ على عبدالله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ،
ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية :
أتأذنين لي - أصلحك اللهُ - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف .
فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ،
وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك !

بين الحبّ والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمراءها ،
ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون
بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كلّ غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان .
فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه .
ثمّ مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعها خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه
(عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدثت الناسُ بمشق
أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : تمتحن العاشقين بمال على أن يدا التعرض
للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلاه كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فقتبعم ،
فضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جاست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ،
وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأنيتك ، فإن أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير
المؤمنين ، ثمّ لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فاعلى ، بأبى أنت وأمى ، فإنك إن سفكتِ دمي أرحمتنى . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لى فيك نصيب . !

فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : رُدّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . والله إنك لتبطنين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحبت . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تلحُّ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفينى :

ومن الطف ما قاله أبو المتاهية فى (عتبه) قوله :

بالله يا خلوّة العيين زورينى	قبل الماتِ ، وإلا . . فاستزيرينى !
هذان أمران ، فاخترى أحبهما	إليك ، أو . . لا . فداعى الموت يدعونى
إن شئتِ موتاً ، فأنتِ الدهر مالكة	روحى ، وإن شئتِ أن أحيأ ، فأحيينى
يا (عتّب) ما أنتِ إلا بدعةٌ خلقتِ	من غير طين ، وخلقُ الناس من طينٍ
إنى لأعجبُ من حبِّ يقرّبينى	مما يباعدنى عنه ، ويقصّينى .
لو كان يُنصِفنى مما كلفْتُ به	إذن . . رضيتُ ، وكان النصفُ يرصّينى
يا أهلَ ودّى . . إنى قد لطفْتُ بكم	فى الحبِّ - جهدى - ولكن . . لا تبالونى
الحمد لله ، قد كُنّا نظنّكمو	من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتنى فى قليلٍ كان يكفينى

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول فى إحداها :

ألا يا (عتّب) يا قرّ الرّصافه	ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتى ، ورزقتِ عطفى	ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرتُ من الهوى دنفاً سقيماً	صريماً كالصريع من السّلافه
أظللُّ إذا رأيتك مُستكِيناً	كأنك قد بُعثتِ على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمدُ ، ولم يدرِ ما بي
فنتفستُ ، ثم قلتُ : نعم ، حبًّا
لو تجسَّينَ يا (عُتْبَةَ) قلبي
قد لعمري ملَّ الطَّيبُ وملَّ الـ
لئِنِّي متَّ فاسترحتُ ، فإني

أُتجِبُّ الغداةَ (عُتْبَةَ) حقًّا ؟
جرى في العروق ، عرقاً فمرفقاً
لَوَجَدتِ الفؤادَ قرحاً . . تفقأً
أهلُ متي ، مما أقامسي وألقتي
أبدأ . . ما حيت - منه ملقي

وفيه يقول :

(عُتْبَ) ما للخيال
لا أراه . . . أتاني
لو . . . رأني صديقي
أو . . . يراني عدوي

خبريني ومالي ؟
زائراً . . . منذ ليالٍ
رق لي ، أو رثي لي
لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةَ) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها في ذلك فإن أجابت جهزها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إن الرشيد سئح له شغل استمر به ، فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تسمتُ الرياحُ لحاجتي فإذا لها من راحتيك شميمُ
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :

أعلقتُ نفسي من رجائك ماله عنقُ يحثُ إليك بي ، ورسمُ

فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولربما استيأستُ ، ثم أقولُ : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ،
وفي غدٍ نقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى (عتبة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ،
فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستمنيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته
إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي
أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذٌ في .. فيما خلا أمر أبي العتاهية ، فإني
حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكل يمين يحلف بها برئ وفاجر . وبالشيء إلى بيت الله الحرام
حافية ، كلما انقضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدتُ
شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين
ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لأدري أين أنا قائم أو قاعد؟
قلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بمدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وترهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :
قطعت منك جبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حل وعن تر حال

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذى صرفك عن قول النزال
إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنى لما قلت :

الله بينى وبين مولانى أبدت لي الصد والملاات
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي !
هيمتي حبها ، وصيرنى أهدوءة في جميع جراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةَ ، يحكم لك عليها بالمصيبة إلا الله تعالى؟! .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلَعِي :

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ، وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أنّي أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهمُ من لقيتُ وهمُ معي
وتطلبهم عيني وهمُ في سوادِها ويشتاقهم قلبي وهمُ بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يتمزجان :

وقال ابن الرومي :

أعانقُها والنفسُ بعدُ مشوّقةٌ إليها . وهل بعد العناقِ تدانٍ ؟
والثيمُ فاها كي تزولَ صبابتي فيشتدُّ ما عندي من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذي بي من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأنَّ فؤادي ليس يشقّ غليلهُ سوى أن يري الروحين يتمزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرني :

وقال عبد الله بن المدينة :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد متُّ رجلي نحوها ... فوطئتها
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
رضاك أو مُدني لنا من وصالك
هُدى منك لي، أو.. ضلة من ضالك
لقد سرني أني خطرتُ بياك

المشوق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يُحبه
حديثٌ كماءِ المزنِ بين فصوله
ولمُ فم عذب اللثاتِ، كأنما
وما المشوقُ إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيبَ من التي
حراماً، فخطي ما يبجل ويجملُ
عتاب به حُسنُ الحديثِ يفصلُ
جناهن شهدته فت فيه القرنفلُ
وأنسُ قلوبِ أنسهن التغزلُ
تُريبُ، وأدعى للجميل فأجملُ

الطرف رسولٌ رائدٌ للقلب :

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مائة ، فجعلتُ أنظر إليها وأملاً عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً ، أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ

وقال الفرزدق :

تزوّد منها نظرة لم تدع له
فلم أر مقتولاً ، ولم أر قاتلاً
فؤاداً ولم يشعر بما قد تزوّدا
بغير سلاحٍ مثلها حين أقصدًا

وقال آخر :

ومن كان يؤتى من عدوٍ وحاسدٍ
ها اعتوراني : نظرة ثم فكرة
فإني من عيني أُنيتُ ومن قأبي
فما أبقياً لي من رقادٍ ولا لبّ

وقال ابن المعتز :

متمّمٌ يرعى نجومَ الدجى
عيني أشاطتُ بدى في الهوى
يبكى عليه رحمةً عاذله
فابكوا قتيلاً بمضه قاتله

وقال الأرجاني :

تمتمتُما يا مُقلتي بنظرةٍ
أعيني كفاً عن فؤادي فإنه
وأوردت ما قلبي أمرّ المواردِ
من الظلم سَمي اثنين في قتلٍ واحدٍ

وقال آخر :

عابتُ قلبي لما
فألزم القلبُ طرفي
رأيتُ جسمي نجيلاً
وقال : كنت الرّسولاً
بل كنت أنت السّوولاً
فقال طرفي لقلبي
فقلت : كفاً جميعاً
تركتاني قتيلاً !

لذّة الحبّ كلّها :

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيمّ الجوزيّة :

« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيّب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبّة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأُنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدلّ بأمثال الجبال من لذّات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قرّت عينه بالله قرّت به كلّ عين . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حشرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألّم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضعُ - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يدوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبّة الله والأُنس به والشوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليمرّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبّة من محبّته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبّه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّباةً كيتيني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي محبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فَشَنَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْكَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنَّكَ لَوْ جَهَدْتِ عَلَى تَلَاوِي لَقَلْتِ مِنَ الرَّضَا : أَحْسَنْتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءُ :

وذكر العتيبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
خَبْرِينَا - خَصَصْتِ بِالغَيْثِ يَا سَرُّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقِ فِيهِ شِفَاءُ
وكتب الآخر :

هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبُّ مِنْ أَلَمِ الْحُبِّ بٌ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
ثُمَّ مَضِيًّا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوبًا تَحْتَ ذَلِكَ :
إِنَّ جَهْلًا سَوَّأَكَ السَّرْحَ عَمَا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خِفَاءُ
لَيْسَ لِلْعَاشِقِ الْمَحَبُّ مِنَ الْحُبِّ بٌ سِوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف :

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى المرُّ

فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ عن معرفة ما بي . فتمنيتُ المنى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإنى أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمري ، ويجعله ضجيجي في قبري ، دريتُ به أو لم أدّر . هذا دعائي ، أو أنصرف من حجّتي . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجابَ دعائي ، وله قصدت ، وفيه رغبت ا

محبة الأعداء :

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخزاعي :

أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم
أجدُ الملامّة في هواك لذينة حبّاً لذكركِ فليكني اللومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصدّيق فإنّي هم صيرُوا طلبَ المالِ ديدني
أحبُّو بصالحِ شكري الأعداءِ حتى وطئتُ بنمليّ الجوزاءِ
والسّمُّ - أحياناً - يكون شفاءً ولربّما انتفع الفتى بمُدوّه

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَاقِطِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَعَادِيَا
هُوَ بِحُثُوَا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبَهَا وَهُمْ نَافِسُونِي فَكَتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمْتُ تُو أَن لِقَابِكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرْتِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

العقد الفريد	١	التبريزى على الحماسة	١٨
خلاصة الأثر	٢	سحر العيون	١٩
أمالى أبى القاسم الزجاجى	٣	فوات الوفيات	٢٠
الإسعاف شرح شواهد الكشاف	٤	اليتيمة للشعالبي	٢١
المصنف والنسوب	٥	بنية الوعاة	٢٢
الحيوان للجاحظ	٦	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٢٣
نقح الطيب	٧	اتفاق المباني واقتراق المعاني	
وفيات الأعيان لابن خلكان	٨	إرشاد الأديب	٢٤
خزانة الأدب للبندادى	٩	الأغاني	٢٥
لوعة الشاكي ودمنة الباكي للصفدى	١٠	العزير المحلى	٢٦
طوق الحمامة فى الألفة والألاف	١١	علم الدين لعلى باشا مبارك	٢٧
سبحة المرجان	١٢	الروض الأنف	٢٨
شرح شواهد التحفة الوردية	١٣	الكامل لابن الأثير	٢٩
عيون التواريخ	١٤	بدائع الفوائد	٣٠
خاص النخاس للشعالبي	١٥	روضة الأعيان للتراجم	٣١
مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور	١٦	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	٣٢
أمالى أبى على القالى	١٧		

فهرس

كتاب الحب والجمال عند العرب

صفحة		صفحة
٢٨	أنواع الحب	٣
٢٨	ضروب المحبة	٤
٢٨	حب الولد	٥
٣٠	حب الأيامي واليتامي	١٣
٣١	أمثال في الحب	١٣
٣٢	حجة بالنة	١٣
٣٣	حب الأزواج	١٤
٣٣	زواج النبي من خديجة	١٦
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٧
٣٦	السيدة سكينه بنت الإمام الحسين	١٨
٣٨	عاتكة بنت زيد	١٩
٤١	زواج امرىء القيس	٢٠
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٣
٤٤	زواج حاتم الطائي	٢٤
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥
٤٧	الثريا وعمر بن أبي ربيعة	٢٥
٤٩	أبو الأسود الدؤلي وامرأته وابنهما	٢٦
٤٩	المجرد والمرأة التي تبعها	
		تمهيد لمقدمة الكتاب
		دعاء مأثور
		كلمة اللجنة
		صفات الحب وأغراضه
		الحب ما هو
		الحب والمحبوب
		عشق الشرف وعشق الجمال
		أحلام المحبين
		الحبيب الأول والحبيب الآخر
		الحب مع اختلاف الدين
		الحب في كل حال
		حب النساء والمال
		الحب خضوع النفس
		أشقى الناس أهواها
		رابعة العدوية
		الحب أحسن المعاصي
		الموى قدر

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	الغزل والتغرل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	ياليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواعب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بليتي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة وميية
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليلى الأخيلية
٨٣	صبح الشيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجاريته
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ التائب من الحب
٨٦	سلموس وسامسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جارية المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دارة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطيب
٩٢	لأعدبن العين	٦٧ نتف الوجه بالحيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائلته	٧٠ تكنى المرأة بالشاة أو البيضة
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة		الصفحة
١٤٠	عداوة النساء	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعراء	١٠٢ هند وأبو سفيان
١٤٣	بنات الأربعين من الرزايا	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٤	طرائف عن الحب	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤	حيله عاشق	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٥	بين الحب والمال	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٦	قليل منك يكفيني	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٧	من الحب إلى الزهد	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٩	معي بين أضلعي	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩	يرى الفؤاد الروحين يمتزجان	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٥٠	لئن ساءني لقد سرني	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠	العشق عفة ونزاهة	المتوفى
١٥٠	الطرف رسول رائد للقباب	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٢	لذة الحب كلها	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٣	أحسنت زيدي	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣	لذة اللقاء شفاء	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٤	دعاء في الطواف	
١٥٤	محبة الأعداء	





